فى رحمة الله

تاج الدين نوفل



دار القلم للتراث
القاهرة ١٦ ش خاطر التعاون - فيصل - الهرم
ت ٣٨٣٥١٤٨ / ٠٢ فاكس ٣٨٢٣٠٢١ / ٠٢
المحلة الكبرى - مبنى ٢٣ يوليو
خلف مجلس المدينة ت ٢٢٢٧٥٠٠ / ٠٤٠

الإهــــداء

إلى :

الطامعين فى رحمتـه ..

البـاكين من خـشـيـتـه ..

السـاعين فى طاعتـه ..

أقدم لهم :

كـتـابى إلى الحـيـاة ..

فى رحمة الله

تاج الدين نوفل

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[1]

﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾[2]

صدق الله العظيم

(١) سورة آل عمران ، آية ١٠٧ .

(٢) سورة التوبة ، آية ٢١ .

مقدمة الطبعة الأولى

﴿ سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾[1] . . .

سبحانك . . سبحانك . . .

لا أملك إلا سبحانك . . .

إن قلت حسناتى فيه . . .

سبحانك تملأ ميزانك . . .

الحمد لله رب العالمين . . حمداً طيباً طاهراً مباركاً فيه . . وأصلى وأسلم على خير خلقه محمد ﷺ . .

صاحب الحوض المورود ، والمقام المحمود ، والموقف المشهود ، واللواء المعقود ، محمد محمود . . .

أما بعد . . .

فيا حبيبى يا رسول الله . . .

هذه باقة من الورود . . أزفها إليك . . وماذا أهدى إليك ؟ . . .

وأعظم شىء قليل عليك . . .

لا أجد إلا صلاتى عليك . . .

لأنثر باقة ورد عليك . . .

باقة ورد . . .

جمعتها لك من حدائق شتى . . زهرة زهرة . . .

(١) سورة البقرة ، آية ٣٢ .

زهرة المحبة ، زهرة الدين ، زهرة العلم ، والصبر ، والصدق ، زهرة البر ، والإحسان ، والتقوى ، والإيمان . .

وحملتها إليك أيها القارئ الكريم . . .

فهذه رسالتى إليك . . .

معطرة بحب النبى ﷺ . . .

مطهرة بالصلاة والسلام عليه . . .

تحمل إليك : أجمل بشرى . . وأحلى ذكرى . . .

بالوعد والوعيد . . .

والسعد والسعيد . . فى يوم المزيد . .

تحمل إليك ،

القدوة والقدرة ، والأسوة والعبرة . .

تحمل إليك : خير ما يحمل . . وأسمى ما يؤمل . . حتى تكد وتعمل . . .

تحمل إليك :

الصدق فى أسمى معانيه . .

والصبر وخير ما فيه . . .

والبر وما يحتويه . . .

والعلم وما يسديه . . .

ومن أراد واعظاً فالموت يكفيه . . .

ومن أراد مؤنساً ففى القرآن ما فيه . . .

ومن أراد الغنى فالإيمان يغنيه . . .

ومن أراد هادياً فالله يهديه . . .

كما يحمل إليك :

البر بالوالدين . . وما أدراك ما بر الوالدين . .

إنه السعادة في الدارين . . لا تسألن متى وأين . . . ؟!

في الدنيا والآخرة . .

فإن البار في نورين . لا يخفى على ذى عينين . . وليس مع العين أين . . .

فليفعل البار ما يفعل فإنه من أهل الجنة . . إنه البار . . وليفعل العاق ما يفعل فإنه من أهل النار . . .

إنهما جنتك ونارك ، إنهما أشواكك وأزهارك ، إنهما يمينك ويسارك ، إنهما ليلك ونهارك . . .

فاحرص على أزهارك من الذبول . . .

واحرص على جنتك . . واسأل الله القبول . . .

أما بعـد :

فيا قارئي الكريم . . .

أسأل الله أن أكون قد وفقت في اختيار ما كتبته لك . . عفواً . . ما نثرته عليك . . وأن تكون تلك الباقة . . مناسبة لك . . .

فما قصدت بها إلا وجه الله . . .

وما طمعت بها فيمن سواه . . .

ولا أردت بها غير رضاه . . .

وها هو بين يديك . . .

وها أنت « فى رحمة الله » . . .

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[1]

تاج الدين نوفل

(١) سورة آل عمران ، آية ١٠٧ .

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين حمداً يليق بكماله وجماله وجلاله . . وأصلى وأسلم على محمد وآله . .

أمـــا بعد . . .

فيا أيها القارئ الكريم . .

قد نفدت الطبعة الأولى . . من كتاب « فى رحمة الله » . . وها هى الطبعة الثانية بين يديك . . أقدمها إليك . . فريدة ومنقحة . . كما تريد . . وكما وعدتك فى لقائى معك دائماً عبر الأثير . . أو فى الندوات . . أو فى المحاضرات . . أو على صفحات الرسائل . . .

وها نحن نخوض معاً فى رحمة الله تعالى . . كما تعودت معك . . فما إن نما إلى علمى نفاده . . حتى أسرعت بالعمل على أن يصلك ثانية . . ليكون العطاء موصولاً . . والعمل مقبولاً . . والعفو مأمولاً بإذن الله . .

أقدمه إليك فى رسائل . . وعبر شتى الوسائل . . كالعطر فى الأزهار . . والقمح فى السنابل . . والشمس فى السماء . . والبدر والكواكب . .

فهذه بعض نفحات من رحمة الله تعالى التى اشتملت على مائة جزء . . حين خلق الله السموات والأرض . . فأعطى الخلائق منها جزءاً . . فبه يتراحمون فيما بينهم . . وخص نفسه بتسعة وتسعين جزءاً . . يرحم بها عباده . . وهى نفسها عدد أسمائه الحسنى التى من أحصاها دخل الجنة . .

فهذه بعض قطرات الندى . . من رحمة الله تعالى . . التى من استظل بها . . كانت له فى الدنيا ستراً . . وفى الآخرة ذخراً . . يمحو الله بها الخطايا . . ويرفع بها البلايا . . ويجزل بها العطايا . . ويجعل صاحبها مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً . .

وهذه بعض شذرات من رحمة الله تعالى . . التى ينشرها الله تعالى نوراً فى الأرض على أوليائه وأحبائه الذين يخشونه بالغيب . . والتى قال الله تعالى فيها ﴿ ورحمتى وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ﴾(١) .

وهذه بعض بركات من رحمة الله تعالى . . والتى أمرنا بها . . ودعانا إليها . . بعد عبادته سبحانه وتعالى رحمة بالوالدين . . حيث يقول :

﴿ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيـــرا ﴾(٢) وهذه بعض آيات من رحمة الله تعالى والتى أنزلها علينا فى كتابه الحكيم . . شفاء ورحمة للمؤمنين . . حيث يقول :

١ - ﴿ ويشف صدور قوم مؤمنين ﴾(٣) .

٢ - ﴿ وشفاء لما فى الصدور ﴾(٤) .

٣ - ﴿ فيه شفاء للناس ﴾ (٥) .

٤ - ﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ﴾ (٦) .

٥ - ﴿ وإذا مرضت فهو يشفين ﴾(٧) .

٦ - ﴿ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ﴾(٨) .

وهذه بعض لمحات من رحمة الله تعالى التى أمرنا بها . . ودعانا إليها . . بالصبر على الطاعة . . والصبر على المعصية . . والمصابرة عليهما . . وذلك قوله تعالى :

---

(١) سورة الأعراف ، آية ١٥٦ .
(٢) سورة الإسراء ، آية ٢٤ .
(٣) سورة التوبة ، آية ١٤ .
(٤) سورة يونس ، آية ٥٧ .
(٥) سورة النحل ، آية ٦٩ .
(٦) سورة الإسراء ، آية ٨٢ .
(٧) سورة الشعراء ، آية ٨٠ .
(٨) سورة فصلت ، آية ٤٤ .

- ﴿ واصْبرْ ومَا صَبْرُكَ إلاَّ باللهِ ﴾[1]

- ﴿ يَا أيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وصَابِرُوا ورَابِطُوا واتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون ﴾[2] .

فالصبر ضياء . . والصبر نور . . والنصر مع الصبر . . والشجاعة . . صبر ساعة وما أعطى أحد عطاء خيراً من الصبر . . فهو الأمل فى الله . . وهو بموضع الرأس من الجسد . . وهو كنز من كنوز الجنة . .

سأصبر حتى يعجز الصبر عن صبرى ... وأصبر حتى يأذن الله فى أمري

وأصبر حتى يعلم الصبر أنني ... صابر على شيء أمر من الصبر

وهكذا . .

إنما الدنيا هباتُ ... وعوار مستردة

شدة بعد رخاء ... ورخاء بعد شدة

وهذه بعض نظرات من رحمة الله تعالى التى أمرنا بها ودعانا إليها على لسان رسوله ﷺ :

* ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء .

* الراحمون يرحمهم الرحمن .

* لا تنزع الرحمة إلا من شقى .

* من لا يَرحم لا يُرحم .

وهذه رحمة الله تعالى التى أمرنا بها ودعانا إليها على لسان المصطفى ﷺ حين قال :

من عاد مريضاً خاض فى الرحمة من شعر رأسه إلى قدميه . . ولم يزل تستغفر له الملائكة حتى يصبح . . ولم تزل تستغفر له الملائكة حتى يمسى . .

---

(١) سورة النحل ، آية ١٢٧ .

(٢) سورة آل عمران ، آية ٢٠٠ .

وهذه بعض نسمات من رحمة الله تعالى جمعتها لك من نجوم السماء . . فالتقط منها ما تشاء لما تشاء . . حتى تكون فى زمرة السعداء فى الدنيا والآخرة . .

وهذه بعض سبحات من رحمة الله تعالى نزلت علينا بالهداية . . وشملتنا بالعناية . . وغشيتنا بالسكينة . . وها نحن فى الفردوس الأعلى بين الغياض والرياض . . فى شذى الزهور . . وتغريد الطيور . . وغناء الحور . . حول جبال الزبرجد . . والعسجد . . وكثبان الياقوت الأحمر . . فى أعلى عليين . . بين المسك والرياحين . .

وها أنت أيها القارئ الكريم . . قد اقتربت . . وصرت قاب قوسين أو أدنى . . فافتح الباب . . وعانق الأحباب . . واقطف الأزهار . . واجمع الثمار . . لتفوز بالجنة . . وتنجو من النار . . ضمن كوكبة الأبرار . . السابقين . .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . .

تاج الدين نوفل

طلب العلم

« طلب العلم فريضة على كل مسلم »

(حديث شريف)

طلب العلم أفضل من صلاة النافلة

يقول تعالى :

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ . خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ . الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[1] . .

هـذا . .

ويكفى الإسلام فخراً ، أن أول آية نزلت فى كتابه الحكيم . . .

« اقرأ باسم ربك الذى خلق » . . .

دعوة للعلم والتعلم . . وشهادة بالسبق والتقدم . .

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[2] . . .

فبه تدرك الغايات ، وترفع الدرجات . . .

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾[3] . . .

فمن تعلم شاهد ، ومن شاهد شهد ، ومن شهد آمن ، ومن آمن خشى ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[4] . . .

---

(١) سورة العلق .
(٢) سورة آل عمران ، آية ١٨ .
(٣) سورة المجادلة ، آية ١١ .
(٤) سورة فاطر ، آية ٢٨ .

وكل هذه الأمثال . . .

﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾[1] . . .

فإذا كانت هذه بعض توجيهات القرآن ، وبعض آياته . . فى العلم . . والتعلم . . فإن السنة المطهرة قد دعت إليه وكرمت أصحابه الطالبين الساعين إلى تحصيله . . وما السنة المطهرة . . إلا تفصيل بعد إجمال . . فيقول صلوات ربى وسلامه عليه :

* طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة . . .

* اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد . . .

* اطلبوا العلم ولو فى الصين . . .

* خيركم من تعلم العلم وعلمه . . .

* العلم خزائن مفتاحها السؤال . . .

فإذا كان العالم خيراً من العابد ، فإن العلم خير من العبادة لا جدال ، فهو خير من صلاة النافلة ، وليس خيراً من الصلاة المكتوبة . . .

يقول الرسول الكريم صلوات ربى وسلامه عليه فى حديث شامل جامع مانع :

فضل العلم خير من فضل العبادة . . . يا أيها الناس إنما العلم بالتعلم ، والفقه بالتفقه . . .

ومن يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين ، إنما يخشى الله من عباده العلماء ، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً ، سهل الله له طريقاً إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع ، وإن العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء . .

(١) سورة العنكبوت ، آية ٤٣ .

وفضل العالم على العابد . . كفضل القمر على سائر الكواكب ، إن العلماء ورثة الأنبياء ، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذه . . أخذ بحظ وافر[1] .

ويقول :

وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه فيما بينهم ، إلا حفتهم الملائكة ، ونزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده[2] . . .

ولا حسد إلا فى اثنتين ، رجل آتاه الله مالاً ، فهو ينفقه فى سبيل الله ، ورجل آتاه الله علماً ، فهو يقضى به ، ويعلمه للناس . . .

وإن عالماً واحداً . . أشد على الشيطان من ألف عابد . . .

ولأن أجلس ساعة فأفقه ، أحب إلى من أن أحيي ليلة القدر . . .

ويقول المعصوم صلوات ربى وسلامه عليه . . . :

إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا . .

قالوا : وما رياض الجنة يا رسول الله . . . ؟

قال : مجالس العلم[3] . . .

ويقول لقمان لابنه وهو يعظه :

يا بنى عليك بمجالسة العلماء . . واسمع كلام الحكماء ، فإن الله يحيي القلب الميت بنور الحكمة ، كما يحيي الأرض الميتة بوابل المطر[4] . . .

---

(١) رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان .

(٢) رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم .

(٣) رواه الطبراني .

(٤) رواه الطبراني في الكبير .

يا بنى زاحم العلماء بركبتيك ، ولا تفارقهم طرفة عين ، فإن رحمة الله لا تفارقهم .

ويقول المعصوم ﷺ :

من جـاءه أجله وهو يطلب العلم ، لقى الله وليس بينه وبين النبـيين إلا درجـة النبوة[1] . . فإذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث :

صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له[2] . . .

وأنه لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن خمس :[3]

* عن عمره فيما أفناه . . .
* عن شبابه فيما أبلاه . . .
* عن ماله من أين اكتسبه . . .
* وفيم أنفقه . . .
* وعن علمة فيم عمل فيه . .

ويقولون : إنه عندما ذهب الإمام الشافعى لزيارة الإمام أحمد بن حنبل ، لاحظت ابنة الإمام أحمد عليه ثلاثة أمور ، أخبرت أباها عنه ، وكانت ابنة الإمام أحمد . . تحب الشافعى الذى ملأ طباق الأرض علماً ، وكانت تسمع عنه وعن علمه الذى أصبح فى الأرض كالنجوم فى السماء ، يهتدى به الناس فى ظلمات الأرض .

وظلت ابنة الإمام أحمد مستيقظة طوال الليل حتى تسمع صوت الشافعى ، وهو يتلو القرآن عند التهجد . . لأن الشافعى كان له صوت خاشع رخيم . . يأخذ بمجامع القلوب!!

فقامت فاطمة فى الصباح قائلة : يا أبت لقد لاحظت على الإمام الشافعى ثلاثة أمور حيرتنى :

(١) رواه الطبراي في الأوسط .
(٢) رواه مسلم وغيره .
(٣) رواه الترمذي .

أول هذه الأمور : أنه ظل نائماً طوال الليل وقام وصلى الفجر دون أن يتوضأ . !!

ثانيها : أنه لم يتهجد من الليل . . وكنت أحب سماع صوته بالقرآن وهو يصلى . !!

ثالثها : أنه أكل كثيراً ، وطعام الصالحين دائماً بقدر يسير . !!

وعندما حضر الإمام الشافعى فى الصباح . . أخبره الإمام أحمد بما دار بينه وبين ابنته فاطمة . . .

فقال الإمام الشافعى :

لقد صليت بغير وضوء لأنى كنت على وضوئى من بعد صلاة العشاء . . فلم أنم ليلة أمس . . ولقد أعاننى الله . . فجزمت برأيى فى أربعين مسألة . . اختلف فيها مالك وأبو حنيفة .

فنادى الإمام أحمد ابنته فاطمة قائلاً :

يا فاطمة والله لنوم الشافعى خير من قيام أبيك . !!

ثم قال الشافعى :

أما كونى أكلت كثيراً . . فلقد علمت أن طعامكم من حلال فأحببت أن أملأ بطنى منه . !!

فقال الإمام أحمد لابنته :

يا فاطمة . . إن أباك عابد . . والعابد يحيا لنفسه . . ولكن الشافعى عالم . . والعالم يحيا لغيره . . فقد يقوم أبوك ويتهجد ، فى الوقت الذى يكون فيه الشافعى مشغولاً بأمور المسلمين وقضاياهم ، فإن الاجتهاد فى مسألة من مسائل الدين خير من عبادة ستين عاماً .

وإن مداد العلماء يوزن يوم القيامة بدم الشهداء ، والله يقول يوم القيامة للعابد : ادخل جنتى ، ولكنه يقول للعالم : قف حتى تشفع للناس . !!

اللهم إنا نعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعاء لا يسمع ، ومن شر هؤلاء الأربع . !!

الصـدق

« عليكم بالصدق فإنه مع البر ، وهما فى الجنة »

(حديث شريف)

الصـــدق

﴿ وَالَّذِى جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ۞ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ۞ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِى عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِى كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[1] . . .

هذه الآيات التى بين أيدينا . . .

من سورة الزمر[2] ، وسورة الزمر : من السور المكية التى تتحدث عن عقيدة التوحيد بالإسهاب حتى لتكاد تكون هى المحور الرئيسى للسورة الكريمة ، لأنها أصل الإيمان ، وأساس العقيدة السليمة ، وأصل كل عمل صالح . . .

ابتدأت السورة الكريمة بالحديث عن القرآن الكريم ، المعجزة الكبرى الخالدة الدائمة ، «لمحمد بن عبد الله» وأمرت الرسول ﷺ بإخلاص الدين لله وتنزيهه جل علاه . !! ثم ذكرت الأدلة والبراهين ، على وحدانية رب العالمين ، فى إبداعه لخلق السموات والأرض، وفى ظاهرة الليل والنهار ، وفى تسييره للشموس والأقمار ، وفى خلق الإنسان فى أطوار ، فى ظلمات الأرحام ، وكلها براهين ساطعة على قدرة الله ووحدانيته . . ثم جاءت الآيات طرية ندية ، تدعو العباد إلى الإنابة إلى ربهم ، والرجوع إليه قبل أن يداهمهم الموت ، أو يفاجأهم العذاب من حيث لا يشعرون ، وحينئذ يتوبون ويندمون ، فى وقت لا ينفع فيه توبة ولا ندم . !!

وختمت السورة الكريمة . . بذكر نفخة الصعق ، ثم نفخة البعث والنشور ، وما يعقبهما من أهوال الآخرة وشدائدها ، وتحدثت عن يوم الحشر الأكبر ، حيث يساق المتقون

(١) سورة الزمر ، آية ٣٣ - ٣٥ .
(٢) من صفوة التفاسير .

الأبرار إلى الجنة زمراً ، ويساق المجرمون الأشرار إلى جهنم زمراً ، فى مشهد هائل مهيب يحضره الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون ، والوجود كله يتجه إلى ربه بالحمد والثناء فى خشوع واستسلام . . .

﴿ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْسًا ﴾[1]

وسميت السورة بالزمر لأن الله تعالى ذكر فيها زمرة السعداء من أهل الجنة ، وزمرة الأشقياء من أهل النار ، أولئك مع الإجلال والإكرام ، وهؤلاء مع الهوان والصغار . . .

ثم تتناول هذه الآيات التى بين أيدينا بالشرح والتحليل . . . :

« والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون » .

فالذى جاء بالصدق هو محمد ﷺ . . .

والصدق الذى جاء به هو : لا إله إلا الله محمد رسول الله . والكتاب . والسنة .

والذى صدق به هو : أبو بكر الصديق وأصحاب الرسول الكرام . . (رضى الله عنهم أجمعين) .

وكل من صدق بالصدق من بعده . . وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . . فهو فى زمرة الصديقين . . .

وهؤلاء هم المخلصون الصادقون ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا ﴾[2] . .

« أولئك هم المتقون » . !! هم أهل التقوى والصلاح الذين يستحقون كل إحسان وتكريم . !!

يستحقون المفاز والنعيم . . .

يستحقون الفوز العظيم . . .

(١) سورة طه ، آية ١٠٨ .

(٢) سورة النساء ، آية ٦٩ .

﴿ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾[1] . . .

لهم ما يشتهون فى الجنة ، لهم ما يشتهون فى الفردوس الأعلى . . .

لهم ما يشتهون فى دار السلام ، فى دار المقامة ، فى الخلد ، فى جنة الرضوان ، فى جنة المأوى . . . لهم ما يشتهون . !!

من الحور ، والقصور ، والكافور ، والنور . !!

لهم ما يشتهون . !!

من الملاذ . . والنعيم . . مهما طلبوا وجدوا . . .

﴿ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾[2] . . .

ذلك هو جزاء وثواب كل محسن أحسن فى هذه الحياة . . فمن أحسن فى الدنيا ، أحسن الله إليه فى الدنيا والآخرة . !!

هل جزاء الإحسان إلا الإحسان . .

تلك هى الحياة الطيبة . . .

﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾[3]

من طلب حـيـاة طيـبـة ... فـالسـبل إليـهـا مـيـسـورة[4]

يدفع بالحـسنى سـيـئـة ... ويفـوض لله أمـوره

مـا يأتى الفـانى فى البـاقي ... والعـمـر ثوان مـحـصـورة

مـا بين حـيـاة ومـمات ... والتـقـوى فـيـهن ضـرورة

وهـنالـك فـردوس أعـلـى ... وحـيـاة خلود مـوفـورة

(١) سورة الزمر ، آية ٣٤ .

(٢) سورة الزمر ، آية ٣٤ .

(٣) سورة النحل ، آية ٩٧ .

(٤) من شعر المؤلف ديوان الملكة « سوسينا » .

ومـــــــــلائك مـن نـور بـيـض	والطيـــر هنـــالك مـــحـــشـــورة
والحــــــور بـجنة فـــــــردوس	والكوثـر عــــانق كـــــافـــــوره
والحـــــسن قناديل خـــضـــــر	تتـــــــخلـل من نـور . . نـوره
ويطـوف علـيـــــــــهـم ولـدان	كـــــانت كــــلآلى منشـــــورة
إن تصــــدق مــــوعـــــدنا الجنة	وجــمـــيع ذنوبك مـــغـــفـــورة

وهذا الإحسان من الله . . .

﴿ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِى عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِى كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[1]

كما قال عز وجل فى سورة أخرى . . :

﴿ أُولَئِكَ الَّذِيـــنَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِى أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِى كَانُوا يُوعَدُون ﴾[2] . . .

أى . . . : يعاملهم بالفضل لا يعاملهم بالعدل . . .

لأنه لو عاملهم بالعدل هلكوا . . .

فالعدل : أن تحصى الحسنات ، وتحصى السيئات ، ويكون الجزاء . !!

والفضل : هو الذى يتجلى به الله على عباده ، من فيض جوده وكرمه . . من رحمة وإحسان ، ومغفرة ورضوان ، فلا ميزان ولا أوزان . . . إنه الصدق فى معناه الخاص ، وفى معناه العام . . . الصدق مع النفس ، الصدق مع الناس . . إنه وجه الحقيقة وظهرها ، إنه جوهرها ومظهرها . .

« إن تصدق الله يصدقك » . . .

(١) سورة الزمر ، آية ٣٥ .
(٢) سورة الأحقاف ، آية ١٦ .

فـالصـدق نبـراس الحـيـاة	والصـدق مـفـتـاح النجـاة[1]
والصـدق مـيـزان الرجـولة	وهو مـيـزان الهـداة
والصـدق عطر فى الجـوارح	وهو مـسك للشـفـاة
والصـدق للدنيـا أسـاس	وهـو لـلـديـن الـنـواة
والصـدق من أسـمـاء ربي	وهو قـامـوس التـقـاة
فـاصـدق وكن صـديق قـوم	لا تـكـذبـه الـرواة
فـإذا وجـدت بـه الهـلاك	فـثـق بأن بـه النجـاة
وإذا وجـدت الكذب ينجـي	فـالهـلاك لمن أتـاة
فـالصـدق سـيـمـا الأوفـيـا	والصـدق توفـيـق الإلـه
إن الحـيـاة بغـيـر صـدق	فى الحـقـيـقـة لا حـيـاة

اللهم عطر ألسنتنا بالصدق . . .

وشفاهنا بالصمت . . وقلوبنا باليقين . . .

معنى الصدق

والصدق فى معناه العام : هو مطابقة الكلام للواقع ، ولو كلف هذا الإنسان التعب والمشقة والعناء . .

وهو النجاة وإن بدت فيه الهلكة . .

الصدق .. والنجاة

ومما يدلنا على ذلك ، ما روى : أن أحد الصالحين كان يجلس ذات يوم فى مصلاه داخل بيته ، عندما دخل عليه رجل مذعور ، يريد أن يختبئ عنده فراراً من الجنود الإنجليز . .

(١) من شعر المؤلف .

فتقوقع الرجل ونام تحت « قفة » فى ركن من أركان البيت حتى لا يراه أحد من الجنود . . .

وفجأة اقتحم بعض الجنود البيت ، وسألوا الشيخ عن الرجل الهارب ، فأومأ الشيخ الصالح لهم وأشار إلى « القفة » التى ينام الرجل تحتها . . فظن الجنود أنه يسخر منهم . . .

فنظروا إليه بسخرية واستهزاء . . إذ كيف ينام الرجل تحت « قفة » وتركوا البيت وولوا الأدبار . . .

ونجا الرجل . !!

لم يكذب الشيخ . . وآثر الصدق . . وإن كانت فيه الهلكة . . رغم أن هذه الحالة . . من الحالات التى تباح فيها المعاريض . .

وهى ثلاثة : ١ - أمام العدو .

٢ - أمام الأهل .

٣ - فى إصلاح ذات البين .

فكانت النجاة وصدق رسول الله ﷺ :

تحروا الصدق ، فإن رأيتم فيه الهلكة ، ففيه النجاة . . .

وإياكم والكذب ، وإن رأيتم فيه النجاة ، ففيه الهلكة . . .

الصدق .. والبـر

وعن ابن مسعود (رضى الله عنه) قال :

قال رسول الله ﷺ : عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدى إلى البر ، والبر يهدى إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق ، حتى يكتب عند الله صديقاً . .

وإياكم والكذب فإن الكذب يهـدى إلى الفجـور ، والفجـور يهـدى إلى النـار ، وما يزال العبد يكذب ، ويتحرى الكذب ، حتى يكتب عند الله كذاباً[1] .

هما فى الجنة

وعن أبى بكر الصديق (رضى الله عنه) قـال : قال رسول الله ﷺ : عليكم بالصدق فإنه مع البر ، وهما فى الجنة ، وإياكم والكذب ، فإنه مع الفجور ، وهما فى النار[2] .

إن لم تكن ترانى فإن الله يراني

ولا تنس قصة الغلام :

هذا الغـلام تعـاهد مع أمـه ألا يكذب أبداً . . كـما أحبت له أمـه ذلك . . وذات يوم عرض له سفر . . فسافر ضمن قـافلة . . وفى أثناء الطريق هاجمت جماعة من اللصوص القافلة . . واستولت على المتاع والأموال . . بعد أن هددت القافلة وأرهبتها . . .

فقد تسللت جماعة اللصوص ، وأخذت أفراد القافلة فرداً فرداً ، فأخذ كل فرد من أفراد القافلة ، يحاول أن ينجو بماله ومتاعه دون جدوى .

وعندما جاء دور الغلام قال له اللصوص :

ماذا معك يا غلام ؟

فأخرج لهم الغلام ما معه من مال ومتاع . !!

فقالوا له :

كيف تفصح عن مالك ومتاعك وأنت تعلم أننا لصوص ؟!

فقال لهم : لقد عاهدت أمى ألا أكذب . . .

فقالوا له :

ولكن أمك ليست معك وهى لا تراك الآن . !!

(1) متفق عليه .

(2) رواه ابن حبان .

فقال لهم الغلام :

إن لم تكن ترانى أمى . . فإن الله يرانى . . وهو معى حيث كنت . .

فانتابت اللصوص صاعقة . . من جراء هذه العبارة البسيطة التى خرجت من فم الغلام . . ونظر بعضهم إلى بعض ، وقد أصابهم الخجل من تقوى الغلام الصغير ، وجرأتهم على الله . . .

وأعلنوا توبتهم على يد الغلام . . .

فقال لهم الغلام :

إذا كنتم صادقين فى توبتكم ، فردوا المظالم لأهلها . . فقاموا وردوا الأموال والمتاع إلى القافلة فرداً فرداً . . وتابوا وحسنت توبتهم . .

انظر كيف استطاع الصدق أن ينجى الغلام والقافلة . . وأن يحول هؤلاء من أشقياء إلى سعداء . . وصدق رسول الله ﷺ . .

تحروا الصدق فإن رأيتم فيه الهلكة ففيه النجاة . . .

وإياكم والكذب وإن رأيتم فيه النجاة ففيه الهلكة . . .

وصدق رسول الله ﷺ . . « إن تصدق الله يصدقك » . .

• • •

الصبر

« الإيمان نصفان » :

(١) نصف صبر ..

(٢) ونصف شكر . » .

الصبر

قال الله تعالى [1] :

﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ﴾ .

وقال تعالى [2] :

﴿ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين﴾ . .

وقال تعالى [3] :

﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ .

وقال تعالى [4] :

﴿ ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ﴾ .

وقال عز وجل [5] :

﴿ استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين ﴾ .

وقال تعالى [6] :

﴿ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ﴾ .

إلى آخر هذه الآيات فى الحث على الصبر . .

(١) سورة آل عمران ، آية ٢٠٠ .
(٢) سورة البقرة ، آية ١٥٥ .
(٣) سورة الزمر ، آية ١٠ .
(٤) سورة الشوري ، آية ٤٣ .
(٥) سورة البقرة ، آية ١٥٣ .
(٦) سورة محمد ، آية ٣١ .

عطاء الصبر

وعن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال :

« ومن يتصبر يصبره الله ، وما أعطى أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر »[1] . . .

الصبر ضياء

وعن أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعري (رضي الله عنه) قال :

قال رسول الله ﷺ :

« الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السموات والأرض ، والصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك أو عليك ، كل الناس يغدو ، فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها »[2] !!

صبر وتصبر

وعن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال :

« إن أناساً من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم ، ثم سألوه فأعطاهم ، حتى نفد ما عنده ، فقال لهم حين أنفق كل شئ بيده : ما يكن من خير فلن أدخره عنكم ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله ، ومن يتصبر يصبره الله ، وما أعطى أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر »[3] . .

(١) رواه البخاري ومسلم .
(٢) رواه مسلم .
(٣) متفق عليه .

وبشر الصابرين

قال تعالى : ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾[1] . . .

نعم . . .

﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾[2] . . .

ويقول تعالى فى الحديث القدسى :

« إذا ابتليت عبدى بمصيبة فى ماله أو بدنه أو أهله . . فصبر صبراً جميلاً استحييت يوم القيامة أن أنصب له ميزاناً أو أنشر له ديواناً » . .

ويقول صلوات ربى وسلامه عليه :

« إنما الصبر عند الصدمة الأولى » . .

وقال . . . . ﷺ :

« إذا أحب الله عبداً ابتلاه فإذا رضى بما ابتلاه اصطفاه » . . .

ابتـــــلاء

وعن أنس (رضى الله عنه) قـال : لما ثقل النبى ﷺ جعل يتغشاه الكرب ، فقالت فاطمة (رضى الله عنها) : واكرب أبتاه . . فقال :

« ليس على أبيك كرب بعد اليوم » . .

(١) سورة آل عمران ، آية ١٨٦ .

(٢) سورة البقرة ، الآيات ١٥٥ - ١٥٧ .

فلما مات قالت :

يا أبتاه أجاب رباً دعاه . . . يا أبتاه جنة الفردوس مأواه . . .

يا أبتاه إلى جبريل ننعاه . . .

فلما دفن قالت فاطمة (رضى الله عنها) :

أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب[1] ؟ . . .

بيت الحمد

أما إذا مات ولد العبد قال الله للملائكة :

أقبضتم ولد عبدى ؟ . .

فيقولون : نعم يا رب . . فيقول الله :

فماذا قال عبدى ؟!

فيقولون : حمدك وأثنى عليك . . فيقول الله :

ابنوا لعبدى بيتاً فى الجنة وسموه بيت الحمد . . .

وقال تعالى :

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[2] .

وعن أبى يحيى . . صهيب بن سنان (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : عجباً لأمر المؤمن . . إن أمره كله له خير . . وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن :

إن أصابته سراء شكر . . فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر . . فكان خيراً له[3] .

﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾[4] .

---

(١) رواه البخاري .

(٢) سورة الزمر ، آية ١٠ .

(٣) رواه مسلم .

(٤) سورة الأعراف ، آية ١٢٦ .

لله ما أعطى وله ما أخذ

وكانت السيدة فاطمة الزهراء قد أرسلت إلى النبى ﷺ تخبره : أن ابنها يحتضر . . وتريده أن يحضر إليها . . ليواسيها . . ويخفف عنها . . .

فأرسل الرسول ﷺ يقرئها السلام ويقول لها :

إن لله تعالى ما أعطى وله ما أخذ . !!

وكل شيء عنده بأجل مسمى فلتصبر ولتحتسب . .

فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينها . . فقام ومعه :

« سعد بن عبادة » و « معاذ بن جبل » و « أبى بن كعب » و « زيد بن ثابت » ورجال (رضى الله عنهم) . . فوضع رسول الله ﷺ الصبى فى حجره . . وقلبه يرجف ، ففاضت عيناه ، وبكى رسول الله ﷺ . . .

فقال سعد : يا رسول الله ما هذا ؟!

فقال : هذه رحمة جعلها الله تعالى فى قلوب من شاء من عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء[1] . . .

• • •

(١) متفق عليه .

أصحاب الأخدود

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾

(سورة البروج ، آية ١٠)

أصحاب الأخدود

وعن صهيب (رضى الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال : كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر . . فلما كبر قال للملك : إنى قد كبرت فابعث إلى غلاماً أعلمه السحر ، فبعث إليه غلاماً يعلمه . . وكان فى طريقه راهب . . فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه ، وكان إذا أتى الساحر مر بالراهب فقعد إليه ، فإذا أتى الساحر ضربه ، فشكا ذلك إلى الراهب . . فقال الراهب : إذا خشيت الساحر فقل : حبسنى أهلى ، وإذا خشيت أهلك فقل : حبسنى الساحر . . فبينما هو على ذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس . . فقال الغلام : اليوم أعلم : الساحر أفضل ، أم الراهب أفضل ؟

فأخذ حجراً فقال : اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضى الناس ، فرماها فقتلها ، ومضى الناس ، فأتى الغلام الراهب فأخبره ، فقال له الراهب : أى بنى أنت اليوم أفضل منى . . فقد بلغ من أمرك ما أرى ، وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل على . .

وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص . . ويداوى الناس من سائر الأدواء . . فسمع عنه جليس للملك كان قد عمى . . فأتاه بهدايا كثيرة . . فقال :

ما ههنا لك أجمع إن أنت شفيتنى . . فقال : أنا لا أشفى أحدًا . . إنما يشفى الله تعالى ، فإن آمنت بالله تعالى ، دعوت الله فشفاك ، فآمن بالله تعالى فشفاه الله تعالى . . فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس . . فقال له الملك :

من رد عليك بصرك ؟

فقال : ربى . !!

قال : أو لك رب غيرى ؟!

قال : ربى وربك الله . !!

فأخذه . . فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام . .

فجيء بالغلام . . فقال له الملك :

أى بنى قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل !!

فقال الغلام : إنى لا أشفى أحدًا . . إنما يشفى الله تعالى .

قال : أو لك رب غيرى ؟!

قال : ربى وربك الله .

فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب ، فجيء بالراهب . . فقيل له ارجع عن دينك ، فأبى ، فدعا الملك بالمنشار فوضع المنشار . . فى مفرق رأسه . . فشقه به حتى وقع شقاه . . ثم جيء بجليس الملك فقيل له :

ارجع عن دينك فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال :

اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا . . فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته ، فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه .

فذهبوا به فصعدوا الجبل فقال داعياً الله :

اللهم اكفنيهم بما شئت . . .

فرجف بهم الجبل فسقطوا ، وجاء يمشى إلى الملك ، فقال له الملك : ما فعل أصحابك؟

فقال كفانيهم الله تعالى . . .

فدفعه إلى نفر من أصحابه ، فقال لهم :

اذهبوا به فاحملوه فى سفينة ، وتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه .

فذهبوا به فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت . . .

فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشى إلى الملك . . .

فقال له الملك :

ما فعل أصحابك ؟

فقال : كفانيهم الله تعالى . . .

فقال الغلام للملك :

إنك لست بقاتلى حتى تفعل ما آمرك به . .

قال : وما هو ؟

قال : تجمع الناس فى صعيد واحد وتصلبنى على جذع . . . ثم خذ سهماً من كنانتى . . ثم ضع السهم فى كبد القوس . . ثم قل :

بسم الله رب الغلام . . ثم ارمنى ، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتنى ، فجمع الناس فى صعيد واحد ، وصلبه على جذع . . ثم أخذ سهماً من كنانته . . ثم وضع السهم فى كبد القوس . . ثم قال :

بسم الله رب الغلام . . .

ثم رماه فوقع فى صدغه . . فوضع يده فى صدغه . . فمات . . فقال الناس :

آمنا برب الغلام . . .

فأتى الملك فقيل له :

أرأيت ما كنت تحذر قد وقع والله نزل بك حذرك . !!

قد آمن الناس . !!

فأمر بالأخدود بأفواه السكك فخدت « أى شقوق الأرض » أى شققت الأرض وأضرم فيها النيران . .

وقال :

من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها - أى أنزلوه فيها - حتى جاءت امرأة ومعها صبى لها فتقاعست أن تقع فيها :

فقال لها الصبى :

يا أمة اصبرى فإنك على الحق[1] . . .

وعن أنس (رضى الله عنه) قال : مر النبى ﷺ على امرأة تبكى عند قبر . .

فقال لها : اتقى الله واصبرى .

فقالت : إليك عنى ، فإنك لم تصب بمصيبتى . . ولم تعرفه

فقيل لها إنه النبى ﷺ فأتت باب النبى ﷺ فلم تجد عنده بوابين فقالت : لم أعرفك . .

فقال : إنما الصبر عند الصدمة الأولى[2] .

• • •

(١) رواه مسلم . (٢) متفق عليه .

نعم الجزاء

وعن أبى هريرة (رضى الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال : يقول الله تعالى : ما لعبدى المؤمن عندى جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا . . ثم احتسبه إلا الجنة[1] . .

الصبر .. والجنة

وعن أنس (رضى الله عنه) قال :

سمعت رسول الله ﷺ يقول :

إن الله عز وجل قال :

إذا ابتليت عبدى بحبيبتيه (أى عينيه) فصبر عوضته منهما الجنة[2] .

جزاء الصرع الجنة

وعن عطاء بن رباح قال :

قال لى ابن عباس (رضى الله عنهما) :

ألا أريك امرأة من أهل الجنة ؟

فقلت : بلى . . .

قال : هذه المرأة السوداء . . أتت النبى ﷺ فقالت :

إنى أُصـرَعُ وإنى أتكشف « أى ينكشف بعض جسمى دون أن أدرى » فادع الله تعالى لى .

قال : « إن شئت صبرت ولك الجنة ، وإن شئت دعوت الله تعالى أن يعافيك » . . .

---

(١) رواه البخاري .

(٢) رواه البخاري .

فقالت : أصبر . . فقالت :

إنى أتكشف فادع الله أن لا أتكشف فدعا لها[1] . . .

واعلم أخى فى الله . . . :

أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسراً . . .

إذا ضاقت بك البلوى ففكر فى ألـم نشرحْ

فعـــسر بين يسريــن إذا فكرتـه تفـــرحْ

واعلم أن الدنيا ساعة . . .

واعلم أن الشجاعة صبر ساعة . . وما أعطى أحد عطاء خيراً من الصبر ، فهو الأمل فى الله ، وهو بموضع الرأس من الجسد ، وهو كنز من كنوز الجنة . . .

واعلم أنه : لا وصب ولا نصب ولا حتى الشوكة يشاك بها المرء فى قدمه . . إلا كفر الله بها ذنباً وحط بها خطيئة . . .

خيراً إن شاء الله

وعن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال :

قال رسول الله ﷺ :

من يرد الله به خيراً يصب منه[2] . . .

(١) متفق عليه .

(٢) رواه البخاري .

لا يخاف إلا الله

وعن أبى عبد الله خباب بن الأرت (رضى الله عنه) قال :

شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له فى ظل الكعبة فقلنا : ألا تستنصر لنا ، ألا تدعو لنا ؟ . . .

فقال : قد كان من قبلكم . . يؤخذ الرجل . . فيحفر له فى الأرض ، فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار . . فيوضع على رأسه . . فيجعل نصفين . . ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ، ما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن الله هذا الأمر . . حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت . . لا يخاف إلا الله . . والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون[1] . . .

واعلم أخى فى الله . .

أن أشد الناس بلاء الأنبياء !!

ثم الأولياء !!

ثم الأمثل فالأمثل !!

واعلم أن الله إذا أراد خيراً بعبده : عجل له العقوبة فى الدنيا ، وإذا أراد به شراً : أجل عنه العقوبة . . حتى يوافى بها يوم القيامة . . .

وقال النبى ﷺ :

إن عظم الجزاء ، مع عظم البلاء . . .

وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم ، فمن رضى . . فله الرضا . . ومن سخط فله السخط[2] . . .

---

(١) رواه البخاري .

(٢) رواه الترمذي .

واعلم أخى فى أرض الله . . .

أن الصبر صبران . . :

صبر على ما تكره . !!

وصبر على ما تحب . !!

فـالضـيق فى الدنيـا حـرج ... والصـبـر مـفـتـاح الفـرج

فـاصـبـر تنل فـيض الرضـا ... فـهـو الحـيـاء ولا حـرج

فـالخـيـر يأتى كله ... فى لحظة فلتـبـتـهج

والضـيق إن ضـاقت بنا ... حلقـاته فـسـينفـرج

فـالصـبـر للدنيـا عـلا ... والصـبـر للأخـرى درج

والصـبـر خـيـر كله ... أبـشـر بـه لا تـنـزعـج

والصـبـر أمـر الله في ... هـذا الوجـود المنفـرج

والصـبـر زهـر طيب ... فـيـه السـكينة والأرج

والصـبـر نـصـر دائمـاً ... والصـبـر من أقـوى الحـجج

فـالصـبـر رأس النصـر ... فـاصـبـر بعـد حين تبـتـهج

والصـبـر عند الصـدمـة ... الأولى بـإيمـان فـرج

أمـا التـهـور فى الأمـور ... من الجـهـالة والهـرج

فـإذا صـبـرت ولـم تزل ... وجـمـعت شـملك فـانفلج

خـرج الظلام ومـادنا ... وأتى الضـيـاء ومـا خـرج[1]

---

(١) من شعر المؤلف .

كما أوصيك وأوصى نفسى . . .

ألا ندعو على أنفسنا . . ولا نتمنى الموت . . إذا أصاب أحدنا الضر ، لحديث النبى ﷺ :

لا يتمنين أحدكم الموت لضر أصابه ، فإن كان لابد فاعلاً . . فليقل :

« اللهم أحينى ما كانت الحياة خيراً لى ، وتوفنى إذا كانت الوفاة خيراً لى »[1] . . .

وكن من « الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين »[2] . . .

فعن معاذ بن جبل (رضى الله عنه) . . . أن النبى ﷺ قال :

من كظم غيظاً ، وهو قادر أن ينفذه ، دعاه الله سبحانه وتعالى . . على رؤوس الخلائق يوم القيامة . . حتى يخيره من الحور العين ما شاء . . .

أنت حر

لقد ورد أن أحد الصالحين كان يتوضأ ذات يوم ، وكان يصب عليه الماء . . غلامه المطيع . . فسقط الإبريق من يده سهواً فتناثر الماء على ثياب سيده . . .

فهم به ضرباً . . .

فقال الغلام : « والكاظمين الغيظ » . .

فرفع يده . . دون أن يبطش به وقال : كظمت غيظى . .

فقال الغلام : « والعافين عن الناس » . .

فقال : عفوت عنك . . .

فقال الغلام : « والله يحب المحسنين » . .

قال : أطلقتك لوجه الله . . أنت حر . . .

(١) متفق عليه .

(٢) سورة آل عمران ، آية ١٣٤ .

سـؤال وجـواب

وكان عمر بن عبد العزيز (رضى الله عنه) . . يسير ذات ليلة فى طريقه إلى المسجد لصلاة الفجر . . فعثرت قدمه برجل نائم على أحد الأرصفة . . دون أن يراه فقام النائم فزعاً قائلاً له :

أعمى أنت ؟

فقال عمر : لا . . .

فهم أحد الحراس بالرجل سوءاً . . .

فقال (رضى الله عنه) : كف عنه . . .

لقد سألنى . . وأجبته . . .

لقد سألني : أعمى أنت ؟ . . .

فقلت له : لا . . .

إلى هذا الحد كان التسامح والصبر على الأذى . . .

من أهم صفات المسلمين السابقين .

هـذا . .

واعلم . . .

أن خير الناس أصبرهم على أذى الآخرين . . .

وأن أكثر الناس احتراماً لنفسه . . أكثرهم احتراماً للناس . . .

هـذا . .

ومن أراد أن ينجو من عذاب الله ، وينال ثوابه ورحمته ، ويدخل جنته . . فلينه نفسه عن شهوات الدنيا ، وليصبر على شدائدها ومصائبها . .

كما قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾[1] . . .

---

(١) سورة آل عمران ، آية ١٤٦ .

والصبر على أوجه عدة . . . :

* صبر على طاعة الله . . .

* صبر على محارم الله . . .

* صبر على المصيبة عند الصدمة الأولى . . .

فمن صبر على طاعة الله تعالى . . أعطاه الله يوم القيامة . . ثلاثمائة درجة فى الجنة . . كل درجة ما بين السماء والأرض . . .

ومن صبر على محارم الله . . أعطاه الله يوم القيامة ستمائة درجة . . كل درجة مثل ما بين السماء السابعة والأرض السابعة . . .

ومن صبر على المصيبة . . أعطاه الله يوم القيامة . . سبعمائة درجة فى الجنة . . كل درجة ما بين العرش إلى الثرى .

لا اعتصام إلا بالله

روى . . .

أن زكريا عليه السلام هرب من اليهود فقفوا أثره ، فلما دنوا منه رأى شجرة . .

فقال لها : يا شجرة أدخلينى فيك . . .

فانشقت الشجرة فدخل فيها . . ثم التأمت عليه ، فأشار عليهم إبليس أن يأتوا بالمنشار ويشقوها نصفين حتى يموت فيها ، ففعلوا كما قال لهم إبليس . . وذلك حيث اعتصم بالشجرة . . ولم يعتصم بالله ، فأورثه ذلك هلاك نفسه . . فنشر بالمنشار على فرقين . . .

كما روى عن النبى ﷺ أن الله تعالى يقول :

ما من عبد نزلت به بلية فاعتصم بى إلا أعطيته قبل أن يسألنى . . واستجبت له قبل أن يدعونى . .

وما من عبد نزلت به بلية فاعتصم بمخلوق دونى إلا أغلقت أبواب السماء عليه . .

فلما بلغ المنشار إلى رأسه صاح . . فقيل يا زكريا . . إن الله تعالى يقول لك : لم لا تصبر للبلاء . . تقول آه ؟

لو قلتها ثانية لأخرج اسمك من ديوان الأنبياء . . .

فعض زكريا شفتيه وصبر حتى شقوه نصفين . . .

فيجب على العاقل أن يصبر للبلاء ، ولا يشكو . . فينجو من عذاب الدنيا والآخرة . . .

لأن أشد البلاء : على الأنبياء والأولياء . . .

قال الجنيد البغدادى رحمه الله :

البلاء سراج العارفين ، ويقظة المريدين ، وصلاح المؤمنين ، وهلاك الغافلين ، لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى يأتيه البلاء ، ويرضى ويصبر . . .

قال رسول الله ﷺ :

من مرض ليلة . . فصبر ورضى عن الله تعالى . . خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه . . فإذا مرضتم ، فلا تتمنوا العافية . . .

قال الضحاك :

من لم يبتل بين كل أربعين ليلة ببلية أو هم أو مصيبة ، فليس له عند الله خير . .

وعن معاذ بن جبل (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ :

إذا ابتلى الله العبد المؤمن بالسقم قال لصاحب الشمال « أحد الملكين الموكلين بابن آدم» :

ارفع القلم عنه . .

وقال لصاحب اليمين :

اكتب لعبدى أحسن ما كان يعمل . . .

وجاء فى الخبر عن النبى ﷺ :

إذا مرض العبد بعث الله إليه ملكًا . . .

فقال : انظر ما يقول عبدى . . فإن هو قال : الحمد لله . . رفع ذلك إلى الله . . وهو أعلم . . فيقول :

لعبدى على إن أنا توفيته . . أن أدخله الجنة ، وإن أنا شفيته . . أبدله لحماً خيراً من لحمه . . ودماً خيراً من دمه . . وأن أكفر عنه سيئاته . . .

• • •

اللّه لطيف بعباده

﴿ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ﴾

(سورة يوسف ، آية ١٠٠)

من دعاء يوسف عليه السلام

﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ ﴾[1]

وروى[2] أنه كان فى بنى إسرائيل رجل فاسق ، وكان لا يمتنع عن الفسق ، حتى ضج أهل بلده ، وعجزوا عن منعه من فسقه . . فتضرعوا إلى الله عزوجل . . أن ينجيهم من هذا الفاسق . . .

فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام :

إن فى بنى إسرائيل شاباً فاسقاً . . فأخرجه من بلدهم حتى لا تقع عليهم النار بسبب فسقه ، فجاء موسى عليه السلام ، فأخرجه ، فذهب الشاب إلى قرية من القرى ، فأمر الله موسى أن يخرجه من تلك القرية . . فأخرجه موسى عليه السلام فخرج إلى مفازة ليس فيها خلق ولا زرع ولا وحوش ولا طيور . . .

فمرض فى تلك المفازة ، وليس عنده معين يعينه ، فوقع على التراب ، ووضع رأسه على الأرض وقال . . . :

لو كانت والدتى عند رأسى . . لرحمتنى ولبكت على مذلتى . . .

ولو كان والدى حاضراً . . لأعاننى وتولى أمرى . . .

ولو كانت زوجتى حاضرة . . لبكت على فراقى . . .

ولو كان أولادى حاضرين عندى . . لبكوا خلف جنازتى . . .

ولقالوا : اللهم اغفر لوالدنا الغريب الضعيف العاصى الفاسق ، المطرود من بلدة إلى قرية ، ومن القرية إلى المفازة ، ومن المفازة يخرج من الدنيا إلى الآخرة آيسا من كل الأشياء . .

اللهم قطعتنى عن والدى وأولادى وزوجتى ، فلا تقطعنى من رحمتك ، فإنك أحرقت قلبى بفراقهم . . فلا تحرقنى بنارك لأجل معصيتى . .

(١) سورة الشورى ، آية ١٩ .
(٢) « مكاشفة القلوب » .

فأرسل الله تعالى حوراء على صفة وهيئة أمه . . .

وحوراء على صفة وهيئة زوجته . . .

وغلماناً على صفة وهيئة أولاده . . .

وملكاً على صفة وهيئة والده . . .

فجلسوا عنده وبكوا عليه . . .

فقال : إن هذا والدى ووالدتى وزوجتى وأولادى حضروا عندى . . وطاب قلبه ، ووصل إلى رحمة الله تعالى طاهراً مغفوراً له . . .

فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام . . .

اذهب إلى مفازة كذا فى موضع كذا . فإنه مات فيه ولى ، من الأولياء الصالحين ، فأحضره وتولى أمره وواره . . .

فلما حضر موسى عليه السلام ذلك الموضع : رأى الشاب الذى كان أخرجه من البلد ومن القرية بأمر الله تعالى . . ورأى الحور العين حواليه والغلمان . .

فقال موسى عليه السلام :

يا رب . . أما هذا الشاب الذى أخرجته من البلد ومن القرية بأمرك ؟

فقال الله تعالى :

يا موسى إنى رحمته وتجاوزت عنه بأنينه فى موضعه وفراقه وطنه ووالدته ووالده وأولاده وزوجته .

وأرسلت إليه حوراء على صفة والدته ، وملكاً على صفة والده ، وحوراء على صفة زوجته ، يترحمون على مذلته فى غربته ، فإنه إذا مات الغريب . . بكى عليه أهل السموات وأهل الأرض رحمة له . . .

فكيف لا أرحمه وأنا أرحم الراحمين ؟ . .

فإذا وقع الغريب فى النزع « أى فى الموت » يقول الله :

يا ملائكتى . . هذا غريب مسافر ترك أولاده وعياله ووالديه . . وإذا مات لا يبكى عليه أحد ولا يحزن . . .

ثم يجعل الله واحداً من الملائكة على صورة أبيه . . وواحداً على صورة أمه ، وواحداً على صورة ولده ، وواحداً على صورة واحد من أقاربه ، فيدخلون عليه فيفتح عينيه فيرى والديه وعياله ، فيطيب قلبه وتخرج روحه بالفرح والسرور ، ثم إذا خرجت جنازته يشيعونها . . ويدعون له على قبره إلى يوم القيامة[1] . . .

فذلك قوله تعالى ﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ ﴾[2] . . .

قال ابن عطاء :

يتبين صدق العبد من كذبه . . فى أوقات البلاء والرخاء ، فمن شكر فى أيام الرخاء ، وجزع فى أيام البلاء . . فهو من الكاذبين ، ولو اجتمع فى رجل علم الثقلين ، ثم هاجت عليه رياح البلاء . . فأظهر الشكوى لما نزل به . . لا ينفعه علمه ولا عمله . . .

كما جاء فى الحديث القدسى . . . :

يقول الله تعالى :

من لم يرض بقضائى . . ولم يشكر لعطائى . . فليطلب رباً سواي . . .

وروى . . .

أن نبياً عبد الله خمسين عاماً ، فأوحى الله إليه : أنى قد غفرت لك . . فقال يا رب : لماذا تغفر لى ولم أذنب قط . . ؟!

فأمر الله عرقه فضرب عليه ، ولم ينم تلك الليلة ، فجاء ملك الصبح . . فشكا إليه ما لقى من ضربان العرق ، فقال :

إن ربك يقول لك عبادة خمسين عاماً ما تعدل شكوى هذا العرق . . .

---

(١) من كلام حجة الإسلام العلامة أبي حامد الغزالي .

(٢) سورة الشورى ، آية ١٩ .

اللســـــان

يقول تعالى : ﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولا ﴾[1] . . .

ويقول تعالى :

﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيد ﴾[2] . . .

ويقول الرسول ﷺ :

وهل يكب الناس فى النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم . . .

ويقول :

كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع . . .

ويقول : من ضمن لى ما بين فكيه ، وما بين فخذيه : ضمنت له الجنة . . .

وقد سئل حكيم :

لماذا خلق الله لنا أذنين ولساناً واحداً ؟! . .

فقال الحكيم : حتى لا نتحدث بكل ما نسمع . . .

وكان أبو بكر الصديق (رضى الله عنه) : ثانى اثنين إذ هما فى الغار . . .

وعمر بن الخطاب (رضى الله عنه) : سراج أهل الجنة . . .

كان يضع كل واحد منهما حصاة (زلطة) فى فمه حتى لا يخوض فيما لا يعنيه . .

---

(١) سورة الإسراء ، آية ٣٦ .
(٢) سورة ق ، آية ١٨ .

إن الكلمة أمانة . . فلا ينطق اللسان . . إلا بأمانة . . وليمسك المرء لسانه . . فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر . . فليقل خيراً أو ليصمت . . .

هذا إن أحسن أو أساء

إن اللسان هو أخطر جزء فى الإنسان . . فهو لك أو عليك . . .

سئل حكيم . . .

عن أطيب شىء وأخبث شىء ؟

فقال : مشيراً إلى لسانه . . .

هذا إن أحسن . . .

وهذا إن أساء . .

فقد يكون إحساناً . . وقد يكون بهتاناً . . .

اللهم اجعل ألسنتنا لنا لا علينا إحسانًا لا بهتانًا . .

إيماناً . . واطمئناناً . . .

إنها الكلمة . . فى معناها وفى مغزاها . . .

إنها أساس الخير . . إنها أساس الشر . . إن خيراً فخير . . وإن شراً فشر . . فكم من كلمة قامت عليها حروب . . وكم من كلمة تحيا عليها شعوب . . .

وكم من كلمة أشعلت . . وكم من كلمة كفكفت . . وأطفأت . . إنها الكلمة . . بسحرها الباقى بقاء ابن آدم . . .

تقول العرب :

مقتل الرجل بين فكيه

ولقد رأى رسول الله ﷺ في رحلة الإسراء والمعراج :

جحراً صغيراً يخرج منه ثور عظيم . . وجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج ، فلا يستطيع !

فقال صلوات ربى وسلامه عليه

ما هذا يا أخى جبريل ؟

قال : هذا مثل الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ، ثم يندم عليها ، فلا يستطيع أن يردها . . .

يأكل لحم أخيه ميتاً

إنها الكلمة التى يتكلم بها الإنسان ، ولا يلقى لها بالاً فتلقى به فى النار سبعين خريفاً . . .

يقول تعالى :

﴿ ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم ﴾(1) . . .

يصور القرآن . . المغتاب هنا فى صورة بشعة . . .

فقد مثل الله الاغتياب :

بأكل لحم الإنسان ، وجعل المأكول أخاً ، وجعل الأخ ميتاً . . . وعقب على ذلك بقوله تعالى : فكرهتموه . . الكراهية والبغضاء . . .

(1) سورة الحجرات ، آية ١٢ .

ولقد رأى رسول الله ﷺ فى رحلة الإسراء والمعراج . . قوماً أظافرهم من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم . . .

فقال : من هؤلاء يا جبريل ؟

قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ، ويقعون فى أعراضهم . . .

ورأى ﷺ قوماً تقطع لحومهم من جنوبهم ، وتطعم لهم كرهاً . . .

فقال : من هؤلاء يا جبريل ؟

قال : هؤلاء : مثل الغمازين والهمازين واللمازين . .

يقول تعالى[1] :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ . . .

هذا تحذير من الله سبحانه وتعالى من آثام اللسان . . .

من الهمز واللمز والتنابز . . الغيبة . . النميمة . .

فاعلم أخى فى الله . . .

أن ثلث عذاب القبر من النميمة . . .

(١) سورة الحجرات ، آية ١١ .

واعلم أن الله عندما خلق الجنة . . قال لها : تكلمى . . .

قالت :

سعد من دخلنى . !!

فقال الله سبحانه وتعالى :

وعزتى وجلالى . . لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس :

١ - لا يسكنك مدمن خمر . . .

٢ - ولا مصر على الزنا . . .

٣ - ولا نمام . . .

٤ - ولا ديوث . . .

٥ - ولا شرطى . . .

٦ - ولا مخنث . . .

٧ - ولا قاطع رحم . . .

٨ - ولا الذى يقول على عهد الله إن لم أفعل كذا وكذا ولم يف به . . .

وروى عن كعب الأحبار . . . :

أن بنى إسرائيل أصابهم قحط . . فاستسقى موسى عليه السلام لهم مرات ومرات . . فلم يسقوا . . أى لم يستجب الله لهم . . .

فأوحى الله إليه . . يا موسى : إنى لا أستجيب لك ولمن معك . . وفيكم نمام قد أصر على النميمة . . .

فقال موسى : يا رب من هو دلنى عليه . . حتى أخرجه من بيننا . . ؟!

فقال الله له : أنهاكم عن النميمة وأكون نماماً !!

فتابوا جميعاً . . فسقوا . . وزادوا . . .

سبعة أمثلة

ويقال أن رجلاً . . اتبع حكيماً . . سبعمائة فرسخ . . فى سبع كلمات . . أى يريد أن يسأله فى سبعة أسئلة . . .

فلما قدم عليه قال :

إنى جئتك للذى آتاك الله تعالى من العلم . . .

أخبرنى :

١ - أخبرنى عن السماء وما أثقل منها ؟ . . .

٢ - وعن الأرض وما أوسع منها ؟ . . .

٣ - وعن الصخر وما أقسى منه ؟ . . .

٤ - وعن النار وما أحر منها ؟ . . .

٥ - وعن الزمهرير وما أبرد منه ؟ . . .

٦ - وعن البحر وما أغنى منه ؟ . . .

٧ - وعن اليتيم وما أذل منه ؟ . . .

فقال الحكيم :

١ - البهتان على البرىء أثقل من السموات . . .

٢ - والحق أوسع من الأرض . . .

٣ - وقلب الكافر أقسى من الحجر . . .

٤ - والحرص والحسد أحر من النار . . .

٥ - والحاجة إلى القريب إذا لم تنجح أبرد من الزمهرير . . .

٦ - والقلب القانع أغنى من البحر . . .

٧ - والنمام إذا ظهر أمره أذل من اليتيم . . .

وما أحسن قول الشاعر :

من نم فى الناس لم تؤمن عقاربه ... على الصديق ولم تؤمن أفاعيه

كالسيل بالليل لا يدرى به أحد ... من أين جاء ولا من أين يأتيه

الويل للعهد منه كيف ينقضه ... والويل للود منه كيف ينفيه

ويقول الشافعى (رضى الله عنه) :

احفظ لسانك أيها الإنسان ... لا يلدغنك إنه ثعبان

كم فى المقابر من قتيل لسانه ... كانت تهاب لقاءه الأقران

إن الغيبة والنميمة . . سيئات عليك . . وحسنات لمن تغتابه . . تقدمها إليه دون أن تدرى . . .

ولو علم الظالم ما أعد الله للمظلوم . . لضن على عدوه أن يظلمه . . .

أى . . . :

لو علم المغتاب ما أعد الله لمن يغتابه . . .

لبخل عليه أن يغتابه . . .

أدب وحلم وعلم

والشيخ الحسن البصرى . . يعلمنا شيئاً فى هذا الأمر . . .

فقد علم أن شخصاً اغتابه . . .

فأرسل الشيخ الحسن البصرى إليه طبقاً من تمر . . وقال لخادمه :

قل له . . سيدى علم أنك أهديت إليه بالأمس حسناتك . . وهذا هو رد الهدية . .

وقد سئل الشيخ الحسن البصرى . . .

كيف ترد السيئة بالحسنة ؟ . . .

فقال : (رضى الله عنه) . . . :

أفلا نحسن إلى الذى جعل الله فى جانبنا . . .

من هنا . . .

نعلم أن اللسان . . هو أخطر ما فى الإنسان . . .

كما قلنا ، فعلى الرجل أن يحفظ لسانه . . .

وعلى المرأة أن تحفظ لسانها . . .

وإذا كان بعض النساء . . لا يستطعن حفظ ألسنتهن . . ظروف بيئية واجتماعية . .

حتى قال البعض مثلاً : إذا أردت أن تنشر خبراً فأعطه امرأة وقل لها : هذا سر فاكتميه . . .

ومن الشعر :

فالمـــــــرأة لا تكتـــــم ســــــــراً فالمــرأة خلقـــــت ثــرثـــــــارة[1]

وفى قصيدة أخرى :

الصمت فى شرع النســــــاء كبيرة وبحكم صمتك قد أثرت مخاوفي[2]

إذا كان هذا كذلك . . .

فإنما هو فى قليل من النساء . . وليس فى النساء جميعهن . . .

فإن من النساء القانتات العابدات الصالحات . . .

وإن منهن من صامت عن الكلام فى الباطل . . .

وإن منهن من عاشت لله . . .

وإن منهن من تساوى آلاف الرجال . . .

وإن منهن من تنعقد عليها الآمال . . .

(١) من ديوان لؤلؤ ومرجان . . « أم عمارة » للمؤلف .
(٢) من ديوان الملكة سوسينا للمؤلف .

وإن منهن مربية الأجيال . . .

وإن منهن الأم والزوج والأخت والإبنة . . .

* * *

وإن منهن مريم ابنة عمران . . .

وإن منهن آسيا زوج فرعون . . .

وإن منهن خديجة زوج محمد ﷺ . . .

وإن منهن فاطمة الزهراء . . .

وإن منهن زينب ، ورقية ، وأم كلثوم . . .

وإن منهن أسماء ، وسمية ، وعائشة ، وحفصة ، وأم سلمة . . .

وإن منهن أم عمارة الأنصارية . . التى ظلت تدافع عن الرسول . . بنفسها وسيفها . . وتذود عنه الأعداء . . .

وإن منهن صفية . . عمة الرسول . . .

وإن منهن حليمة السعدية . . مرضعة الرسول . . .

وإن منهن بركة . . حاضنة الرسول . . .

وإن منهن آمنة . . أم المصطفى ﷺ رسول الإسلام . . .

وإن منهن . . وما أدراك ما هن . . (رضى الله عنهن) .

وإن منهن (المرأة القرآنية) التى ظلت أربعين عاماً لا تتكلم إلا بالقرآن ، خشية أن تقع فى غيبة أو نميمة ، وحتى تتجنب القيل والقال . . وآثرت أن تعيش لله . . كى لا تقع فيما يقع فيه النساء . .

وقد كان . . .

فلقد عاشت لله . . وبالله . . ومع الله . . فكان الله معها . .

وصدق الله :

أنا جليس من ذكرنى ، وتحركت بى شفتاه . . .

فبينما كان عبد الله بن المبارك فى طريقه إلى الحج . . إذ وجد عجوزاً عربية قد اتخذت مكاناً نائياً :

فذهب إليها وقال لها :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . .

قالت : ﴿سَلامٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾[1] . . .

فقال لها : ماذا تصنعين هنا فى هذه الصحراء . . ؟!

قالت : ﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ﴾[2] . . .

فسألها عن وجهتها :

قالت : ﴿سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى﴾[3] . . .

فقال لها : وكم لبثت هنا ؟ . . .

قالت : ﴿ثَلاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾[4] . . .

فقال لها : وأين طعامك ؟ . . .

قالت : ﴿هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾[5] . . .

فقال لها : وأين ماء الوضوء ؟ . . .

قالت : ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً﴾[6] . . .

---

(١) سورة يس ، آية ٥٨ .
(٢) سورة الأعراف ، آية ١٨٦ .
(٣) سورة الإسراء ، آية ١ .
(٤) سورة مريم ، آية ١٠ .
(٥) سورة الشعراء ، آية ٧٩ .
(٦) سورة النساء ، آية ٤٣ .

فقدم لها بعض الطعام وقال : هذا طعام حلال فكلى . . .

قالت : ﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾[1] . . .

فقال لها : ليس هذا شهر رمضان ! . . .

قالت : ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾[2] . . .

فقال لها : ورخصة الإفطار فى السفر !! . .

قالت : ﴿ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[3] . . .

فقال لها : تكلمى بمثل لهجتى . . يرحمك الله . !!

قالت : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[4] . . .

فقال لها : ومن أى القبائل أنت ؟ . . .

قالت : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾[5] . . .

فقال لها : سامحينى فقد أخطأت . . .

قالت : ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾[6] . . .

فقال لها : أتدركين قافلتك على ناقتى ؟ . . .

قالت : ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾[7] . . .

قال لها : اركبى . . .

قالت : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾[8] . . .

---

(١) سورة البقرة ، آية ١٨٧ .
(٢) سورة البقرة ، آية ١٥٨ .
(٣) سورة البقرة ، آية ١٨٤ .
(٤) سورة ق ، آية ١٨ .
(٥) سورة الإسراء ، آية ٣٦ .
(٦) سورة يوسف ، آية ٩٢ .
(٧) سورة البقرة ، آية ١٩٧ .
(٨) سورة النور ، آية ٣٠ .

فقال لها بعد أن أناخ الناقة : هيا . . .

قالت : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾ (١) . . .

(ولما أخذ بزمام الناقة وصاح مسرعًا) .

قالت : ﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ﴾ (٢) .

(ولما أخذ يمشى الهوينا يحدو ويغنى)

قالت : ﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ﴾ (٣) .

قال لها : لقد أوتيت خيراً كثيراً . . .

قالت : ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ (٤) . . .

فقال لها : يا خالة هل لك زوج ؟ . . .

قالت : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ (٥) . . .

(ولما أدركوا القافلة . . .)

سألها : هل من ولد أو قريب لك فيها ؟ . . .

قالت : ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (٦) . . .

فسألها : وما عمل أولادك فى القافلة ؟

قالت : ﴿ وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ (٧) . . .

فسألها : وما أسماء أولادك ؟ . . .

قالت : ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ﴾ (٨) . . .

---

(١) سورة الزخرف ، آية ١٣ .
(٢) سورة لقمان ، آية ١٩ .
(٣) سورة المزمل ، آية ٢٠ .
(٤) سورة البقرة ، آية ٢٦٩ .
(٥) سورة المائدة ، آية ١٠١ .
(٦) سورة الكهف ، آية ٤٦ .
(٧) سورة النحل ، آية ١٦ .
(٨) سورة النساء ، آية ١٢٥ .

﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾[1] . . .

﴿ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾[2] . . .

ولما نادت عليهم بأسمائهم لبوا مسرعين . . .

فقالت لهم : ﴿ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ ﴾[3] . . .

ولما جاءوا بالطعام . . .

قالت لابن المبارك : ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾[4] . . .

ولما استوضح ابن المبارك الأمر من أولادها ووقف على أمرها . . .

قالوا : إن أمهم هذه لا تتكلم إلا بالقرآن منذ أربعين سنة . . خوفاً من الخطأ واستمساكاً بكلام الله ، ومحبته جل علاه . . .

● ● ●

(١) سورة النساء ، آية ١٦٤ .
(٢) سورة مريم ، آية ١٢ .
(٣) سورة الكهف ، آية ١٩ .
(٤) سورة الحاقة ، آية ٢٤ .

بــر الوالدين

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾

(سورة الإسراء ، آية ٢٣)

بـــر الوالديـــن

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾[1] . . .

جعل الله الإحسان للوالدين عقب العبادة له جل شأنه . . تكريماً لهما لأنهما السبب المباشر لوجود الإنسان . . والمصدر الرئيسى لتنشئته . . والمهد الحنون لتربيته ، لهذا . . كان الإحسان إليهما . . بعد العبادة ، والقيام بحقوق الله . . إذن فحقوق الوالدين أولى الحقوق بعد حقوق الله . . والإحسان إلى الوالدين هو أولى الإحسان بعد الإحسان إلى الله . . والبر بهما هو أولى البر بعد البر بالله . . لهذا فقد أمر الله تعالى وقضى . . ولا راد لقضائه . . بالإحسان إليهما فى حياتهما . . وعند شيخوختهما . . وبعد موتهما . . فهى وصية ثلاثية . . من الله بهما . . وهذه من رحمة الله وعدله الذى يعم الخلق جميعاً . . والذى لا يظلم فى ميزانه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء . .

وتلك الوصية بالوالدين فى حياتهما نقرأها فى قوله تعالى :

﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ﴾[2] . . .

والوصية بهما فى شيخوختهما نقرؤها فى قوله تعالى :

﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾[3] . .

والوصية بهما بعد موتهما . . نقرؤها فى قوله تعالى :

﴿ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾[4] . .

---

(١) سورة الإسراء ، آية ٢٣ .
(٢) سورة الأحقاف ، آية ١٥ .
(٣) سورة الإسراء ، الآيتان ٢٣ ، ٢٤ .
(٤) سورة الإسراء ، آية ٢٤ .

وقد سئل الرسول الكريم ﷺ عن بر الوالدين بعد موتهما . . فقالوا يا رسول الله . . ماذا لو كانا ميتين ؟ . .

قال الرسول الكريم ﷺ :

* أن تدعو لهما . . وأن تستغفر لهما . . .

* وأن تؤدى ديونهما . . وأن توفى عهدهما . . .

* وأن تكرم صديقهما . . .

* وأن تصل الرحم التى لا توصل إلا بهما . . .

فعليك أخى المسلم . . المحب لدينك . . الغيور عليه . . البار بمن حملت ووضعت وسهرت وربت . . البار بمن سعى . . واجتهد . . وربى من أجل أن يوفر لك الحياة الطيبة . . الكريمة . . والذى تمنى أن تكون خيراً منه . . واختار لك . . أحب الأشياء إليه . . وفضَّلك على نفسه . . وأخرج اللقمة من فمه كى يضعها فى فمك . . فلا يشبع حتى تشبع . . ولا ينام حتى تنام . . ولا يضحك حتى تضحك . . ولا يرى نفسه إلا فيك . . ولا يرى شبابه إلا عليك . .

عليك أيها المسلم أن تكون باراً بهما . . واعلم أنك لن توفيهما حقهما مهما صنعت . . ومهما أحسنت . .

ولكن حاول أن يكونا راضين عنك . . فالحديث يقول عن رسول الله ﷺ :

« رغم أنف أحدكم يعيش أبواه أو أحدهما . . ولم يدخلاه الجنة » . .

واحذر أخى أن تفوتك هذه الفرصة . . واغتنم حياتهما . . وكن تحت قدميهما . . واخفض لهما جناح الذل . . وتأمل هذا التعبير السماوى . . جناح الذل . . فالله تبارك وتعالى يريد المسلم دائماً عزيزاً كريماً . . ولم يأمره سبحانه وتعالى بالذل أبداً لأى كائن من كان . . إلا لأبويه . . وهذا لفضلهما عليه وإكرامهما له . . من أجل إحياء الحياة . . واستمرارها واستبقائها . . .

. فلا ترفع صوتك فوق صوتهما . . ولا يكن صوتك مساوياً لهما . . ولكن يكون خفيضاً . . بأمر الله تعالى : واخفض لهما . . ولا ترد لهما قولاً . . ولا تعص لهما أمراً . . وكن باراً . . رحيماً . . عطوفاً بهما . . تنل خيرى الدنيا والآخرة . .

واعلم أنه كما تدين تدان . . فبقدر احترامك لهما . . بقدر احترام أبنائك لك . . وأكثر الناس احتراماً لنفسه . . أكثرهم احتراماً للناس . . . .

صفعة بصفعة والمرض زيادة

وإليك هذه القصة التى تدلك على عقوبة عقوق الوالدين فى الدنيا والآخرة . . وأن الحق لابد أن يخلص فى الدنيا قبل الآخرة . . .

كان فى إحدى القرى المجاورة شاب عاق لأبويه . . وذات يوم . . دعاه أبوه أن يخرج معه إلى الحقل . . ليساعده فى زراعته . . واستجاب الشاب العاق . . وذهب مع أبيه . . وأثناء حرث الأرض وزراعتها . . دار حوار بينه وبين أبيه . . واختلف مع أبيه فى أمر ما من أمور الزراعة . . فما كان من الشاب العاق إلا أن صفع أباه على وجهه . . صفعة . . جعلت الرجل الكبير يهوى على الأرض . . وهو يبكى ويضع يده على خده ويقول لولده العاق :

أهان عليك أبوك . . . ؟

أتصفعنى يا ولدى ؟

سامحك الله . . سامحك الله . !!

وتدور الأيام وتمضى . . ويمهل الله ولا يهمل . . ويموت أبوه . . وذات يوم يصاب الشاب العاق بشلل فى نصفه الأيمن . . فلا يستطيع معه تحريكه . . ويرتكز المرض فى يده التى ضرب بها . . ويلازمه المرض . . وتذهب صحته التى دعته إلى ظلم الناس . . وتضيع هيبته التى أرهب بها الضعفاء . . وكان يخرج إلى الحقل بصحبة ولده خشية أن يسقط على الأرض من المرض . . ليرعى أمر الحقل من بعيد . . وذات يوم يدور حوار بينه وبين

ولده فى أمور الأرض وزراعتها . . ويختلف مع ولده . . فما كان من الولد إلا أن رفع يده وصفع أباه صفعة جعلته يهوى على الأرض . . وفى نفس المكان . . وفى نفس الوقت من النهار الذى صفع فيه أباه . . ذات يوم من الأيام . . فوضع يده على خده . . وقال لابنه :

أهان عليك أبوك ؟ . .

سامحك الله . . سامحك الله . .

وظل يبكى ويقول : صفعة . . بصفعة . . والمرض زيادة .

لقد صفعت أبى من قبل فى هذا المكان . . فصفعنى ولدى . . كما تدين تدان . . كما تدين تدان . . وشلت يدى . . التى بها صفعت أبى . . اللهم ارحم أبى . . وسامحنى وسامح ولدى . . .

انظر أخى المسلم إلى تلك القصة وتأملها . . فقد عاصرتها وعايشتها . . وليست هذه قصة من الكتب أنقلها إليك . . لا وإنما من الواقع شاهدتها . . بأذنى . . وسمعتها بقلبي . . وارتعدت لها فرائصى . . وما زالت تروى وتحكى بلسان صاحبها . . .

فاحذر أخى المسلم أن تعق والديك ، واعلم أن عقوق الوالدين من الكبائر ، كما أخبرنا الرسول الكريم ﷺ حيث قال :

* ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ ثلاثاً . . قلنا : بلى يا رسول الله . قال :

الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين . .

وكان متكئاً فجلس ، فقال : ألا وقول الزور ، وشهادة الزور ، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت[1] . . .

وقال عليه الصلاة والسلام :

ثلاث لا ينفع معهن عمل :

الشرك بالله ، وعقوق الوالدين ، والفرار من الزحف[2] . . .

(١) رواه البخاري .

(٢) رواه الطبراني عن ثوبان .

* وقال أيضاً صلوات الله وسلامه عليه :

إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ، ووأد البنات . . ومنعًا وهات . .

وكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال(١) . . .

* وقد جاء رجل إلى النبى ﷺ وقال :

يا رسول الله . . ، شهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وصليت الخمس ، وأديت الزكاة ، وصمت رمضان ، فقال الرسول ﷺ :

من مات على هذا . . كان مع النبيين ، والصديقين ، والشهداء ، يوم القيامة هكذا ، ونصب أصبعيه ما لم يعق والديه(٢) . . .

وهذا يدلنا على أن أركان الإسلام الخمس من أداها كاملة ، وعق والديه . . لا تنفعه ، وإنما ينفعه هذا وذاك . . .

أطع والديك وبرهما . . حتى ولو ناداك أحدهما وأنت تصلى صلاة غير مكتوبة ، فاختم صلاتك وأجبه . . .

ثمرة البر بالوالدين

وحتى تتعرف على ثمار البر بالوالدين . . أحكى لك تلك القصة التى جاءت فى كثير من الكتب ، والتى ذكرها العلماء فى تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ۞ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ۞ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ۞ قَالُوا ادْعُ لَنَا

(١) رواه البخاري .
(٢) رواه أحمد .

رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ * قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلاَ تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لاَّ شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾[1] . . .

وخلاصتها . . أنه كان فى بنى إسرائيل رجل غنى ، وله ابن عم فقير ، لا وارث له سواه ، فلما طالت عليه حياته قتله ليرثه . . وحمله إلى قرية أخرى فألقاه بفنائها . . . . ثم أصبح يطلب ثأره . . وجاء بناس إلى موسى عليه السلام . . قال الكلبى : وذلك قبل نزول القسامة فى التوراة - فسألوا موسى أن يدعو الله ليبين لهم بدعائه أمر القتيل . . فأمرهم بذبح بقرة فقال لهم : « إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة . . قالوا أتتخذنا هزوا » .

أى : أتستهزئ بنا ، نحن نسألك عن أمر القتيل وتأمرنا بذبح بقرة ؟ فقال موسى عليه السلام : « أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين » . . فلما علم الناس أن ذبح البقرة عزم من الله تعالى ، سألوه عن أوصافها . . وكان هذا لحكمة عظيمة من الله سبحانه وتعالى ، وذلك لأنه كان فى بنى إسرائيل رجل صالح . . له طفل صغير . . وعنده عجلة أتى بها إلى غيضة من الغياض ورفع يديه وقال :

اللهم إنى أستودعك هذه العجلة لابنى حتى يكبر . . والله سبحانه وتعالى إذا استودع شيئاً حفظه . .

ومات الرجل . . وصارت العجلة فى الغيضة أعواماً وأعواماً . . وكانت تهرب من كل من يحاول أن يقترب منها . . فلما كبر الابن . . وكان باراً بوالدته . . إذ أنه كان يقسم الليل ثلاثة أثلاث . . يصلى ثلثاً . . وينام ثلثاً . . ويجلس عند رأس أمه ثلثاً . . فإذا أصبح انطلق فاحتطب على ظهره . . فيأتى السوق فيبيعه بما شاء الله . . ثم يتصدق بالثلث . . ويأكل الثلث . . ويعطى أمه الثلث . . .

(١) سورة البقرة ، آية ٦٧ - ٧١ .

ومرت الأيام . . .

وذات يوم جلست معه أمه . . وأخبرته أن أباه ورثه عجلة . . استودعها الله له فى غيضة قريبة . . فانطلق وادع إله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق . . أن يردها عليك . . وعلامتها : أنك إذا نظرت إليها تخيل لك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها - وكانت ذهبية - وكانت تسمى « المذهبة » لحسنها وصفرتها التى تسر من ينظر إليها . . فأتى الغيضة . . فرآها ترعى فصاح بها وقال :

أعزم عليك بإله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب . .

فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه ، فقبض على عنقها يقودها فتكلمت البقرة بإذن الله تعالى . . وقالت :

أيها الفتى البار بوالدته اركبنى فإن ذلك أهون عليك . .

فقال الفتى :

إن أمى لم تأمرنى بذلك . . ولكن قالت لى خذ بعنقها . .

فقالت البقرة :

والله لو ركبتنى ما كنت تقدر على أبداً . . .

ولكنك بطاعتك لأمك وبرك بها ، لو أمرت الجبل أن ينخلع من مكانه لانخلع ، وكان الفتى أبر الناس بأمه . .

فسار الفتى بالبقرة إلى أمه ، فقالت له إنك فقير لا مال لك ، ويشق عليك الاحتطاب بالنهار ، والقيام بالليل ، فانطلق وبع هذه البقرة ، قال : بكم أبيعها يا أماه ؟ قالت بثلاثة دنانير . . ولا تبع بغير مشورتى ، وكان ثمن البقرة لا يتجاوز ذلك . . فانطلق بها إلى السوق ، فبعث الله ملكاً ليرى قدرة الفتى وبره بأمه . . وحبه لها وكان الله به خبيراً . . فقال الملك بكم تبيع هذه البقرة ؟ قال بثلاثة دنانير ، وأشترط عليك رضا والدتى . . فقال الملك لك ستة دنانير ولا تسأل والدتك . . فقال الفتى : لو أعطيتنى وزنها ذهباً لم آخذه

إلا برضا والدتى . فذهب معه إلى أمه وأخبرها بالثمن . . فقالت له : ارجع فبعها بستة دنانير على رضا منى . . فانطلق بها إلى السوق . . وأتى الملك فقال : استأمرت أمك ؟ فقال الفتى إنها أمرتنى أن لا أنقصها عن ستة دنانير على أن أستأمرها . . فقال الملك : فإنى أعطيك اثنى عشر ديناراً ، فأبى الفتى ورجع إلى أمه وأخبرها بذلك ، فقالت له إن الذى يأتيك هذا ملك فى صورة آدمى ليختبرك . . فإذا أتاك فقل له : انصحنى . . فإن أباك كان صالحاً . . عسى أن يباركك الله ببركة أبيك . . وقل له أتأمرنا أن نبيع البقرة أم لا ؟ ففعل . . فقال الملك : اذهب إلى أمك . . وقل لها : أمسكى هذه البقرة . . فإنك سوف تبيعينها بملء جلدها ذهباً . . وسوف يشتريها « موسى بن عمران » منك لقتيل يقتل من بنى إسرائيل ، وقدر الله على بنى إسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها . . .

وذهبوا إلى الغلام يراودونه فى ثمنها . . حتى بلغ ثمنها ملء جلدها ذهباً . . مكافأة من الله لهذا الغلام البار بأمه . . واشتروها وذبحوها . . فقام القتيل حياً . . بإذن الله . . متضرجاً فى دمائه . . وقال : قتلنى ابن عمى فلان . . ليعجل ميراثى ثم خر ميتاً . . فحرم بذلك القاتل من الميراث . . .

هـذا !!

ومن تعجل بشىء قبل أوانه . عوقب بحرمانه . . .

فلا يرث القاتل من ميراث من قتله . . .

وأراد الله . . مسبب الأسباب . . أن يبارك للغلام لبره بأمه . . ودعاء أبيه له . . وكيف لا . . وقد كان أبوه مستجاب الدعوة . . فقد استودع البقرة عند من لا يغفل ولا ينام . . وأوصاه بحفظها لابنه حتى يكبر . . فحفظها الله له . . وبارك له فيها . . فبيعت بملء جلدها ذهباً . . وهذا هو أعلى سعر بقرة فى العالم . . من يوم أن خلق الله الأرض وإلى أن يرثها . . .

فاحرص أخى المسلم : ألا تترك والديك . . دون أن تأخذ منهما كل يوم مفتاح الجنة . . واحرص على أن تكون معك منهما تذكرة دخول الفردوس . . ألا وهو

الرضا . . رضاهما عنك . . هما . . أساس السعادة فى الدنيا والآخرة . . فلا تخرج من بيتك دون أن تسألهما الدعاء ، ولا تبرح مكانك حتى تستأذن منهما . . سائلاً إياهما العفو والصفح . . فهما الضياء الذى يجعلك موفقاً فى كل شىء تضع يدك عليه . . ولقد كان سيدنا أبو هريرة (رضى الله عنه) . . كلما قابل أمه . . قال لها : رحمك الله كما ربيتنى صغيراً . . فتقول له : رحمك الله كما رعيتنى كبيراً . . وهكذا وهكذا . . خذ منهما أولاً بأول . . الرضا والنور . . ولا تنم ليلة دون أن تدخل عليهما السرور . . وإياك أن تفضل زوجتك أو أولادك عليهما . . بل اجعل أولادك وزوجتك تحت أبويك . . فإن عصتك زوجتك فقل لها : غداً ستصبحين أماً . . فافعلى اليوم ما تحبين أن يفعل بك غداً . .

واحذر أن تهمل حقهما أو تغيب عنهما كثيراً . . تكاسلاً وتراخياً . . واعلم أن والديك فى سن الكبر . . مثلك فى سن الصغر . . يرضيهما القليل . . ويحزنهما القليل . . فحافظ على شعورهما فى الكبر . . كما كانا يحافظان على شعورك فى الصغر . .

الطريق إلى الله

واعلم أن والديك هما طريقك إلى الله . . فبدعائهما يفتح المغلق . . وتتضح السبيل . . وينجلى الجميل . . وينكشف الدليل . .

واعلم أن لهما فى كل ساعة ، دعوة مستجابة . . فلا تحرم نفسك تلك الإجابة . . وإياك أن تغضبهما اليوم ، وتقول أصالحهما غداً . .

فإنك لا تدرى هل تعيش إلى غد . . فقد تخرج ولا تعود . . أو قد تعود فلا تجدهما . .

فاغتنم فرصة حياتهما . . فكل يوم يمر عليك دون أن يزداد فيه إيمانك ، ويرتفع فيه ، ويقوى يقينك . . فإنما هو يوم لم يبارك الله لك فيه . .

واعلم أنهما أحق الناس بصحبتك . . فقدجاء رجل إلى النبى ﷺ وقال :

يا رسول الله . . من أحق الناس بحسن صحابتى ؟ . . قال : أمك . . قال ثم من ؟ قال : أمك . . قال ثم من ؟ قال : أمك . . قال ثم من ؟ قال : أبوك . . .

هما جنتك ونارك

وعن أبي أمامة (رضى الله عنه) أن رجلاً قال : يا رسول الله ما حق الوالدين على ولدهما ؟

قال ﷺ : هما جنتك ونارك . . .

وقد جاءه من يسأله الجهاد فى سبيل الله . . فقال له الرسول الكريم ﷺ : ألك والدان؟ قال نعم . . قال الزمهما ، فإن الجنة تحت أرجلهما . .

ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله

يروى :

أن شاباً من بنى إسرائيل . . ذهب إلى عمه . . يطلب يد ابنته . . وكان الرجل يعلم أن ابن أخيه لا يصلح زوجاً لها . . لأنه شاب فاسد . . لا يتحمل مسئولية . . ولا يؤمل أن يكون أباً . . يحفظ حق أهله عليه . .

فلما لم يجد الشاب حيلة مع عمه . . فكر فى حيلة شيطانية . . يخلص بها من عمه . . فقال فى نفسه : أنا أقتل عمى . . وأمشى فى دفنته . . وأتزوج ابنته . . وآخذ تركته . . وأستولى على ثروته . . ولكن تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن . . وكانت فى إحدى المدن المجاورة . . جرائم القتل . . على أشدها . . وكان كل واحد يستيقظ فيجد أمام بيته . . عدداً من القتلى . .

فاجتمع سكان المدينة وأجمعوا على أن يحيطوا المدينة بسور . . حتى يتمكنوا من معرفة القتلة . . ومعاقبتهم . .

وجاء الشاب إلى عمه ، واصطنع قصة وهمية له حتى يأخذه معه إلى مكان بعيد عن العيون . . فيتمكن من قتله دون أن يمسه أذى . . فقال لعمه : يا عماه لقد وفد إلى المدينة المجاورة تجار ومعهم تجارة كبيرة . . وأريد أن تأتى معى فتشترى لى صفقة أربح فيها . . فهؤلاء التجار يعرفونك ، وسوف يكرمونك . . فضلاً عن خبرتك التجارية . . وأنت

يا عماه . . لا تكره لى الخير . . فهيا يا عماه : إنها صفقة عظيمة ، فأخذ عمه معه عند المغرب ، خلف سور المدينة . . وقتله . . ثم عاد . . وقد أغلق الناس سور المدينة . . ثم ذهب إلى بيت عمه وقال لابنة عمه : أين عمى ؟ فقالت له : لقد خرج معك ، قال لها : لقد تركته عند مفارق المدينة . . ثم خرج . . وانتظر حتى الصباح . . وفى الصباح . . وقف على باب المدينة . . ينتظر . . وعندما فتح الباب . . صاح بأعلى صوته . . أدركونى . . أدركونى لقد قتل عمى . . سوف أنتقم من القاتل . . ولو كان فى برج من أبراج السماء . . سوف أمتص دمه . . وأخذ يحوم حول جريمته . . والمجرم دائماً يحوم حول الجريمة . . ويكاد المريب أن يقول خذونى ، وأخذ يحثو التراب فوق رأسه . . ويبكى بكاء الثكلى !!

وكان أول من دخل باب المدينة . . رجل برىء . . لبسته التهمة . . فقالوا له : أنت القاتل . . ادفع الدية . . وكان سيدنا موسى على مقربة منهم . . فجاء وأمره أن يدفع الدية . . فقال الرجل البرىء : والله يا نبى الله ما حدث هذا . . نحن ندفع الدية . . فالدية أمر يسير علينا . . ولكننا نخشى أن نعير به بعد ذلك . . بغير حق . . وفى هذا البلد !!

فلجأ موسى عليه الصلاة والسلام إلى ربه يدعوه ويتضرع إليه . . أن يظهر الحق . . فأمره الله تعالى أن يذبحوا بقرة . . ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾(1) . . . وأخذوا يتمردون . . على الله ورسوله . . .

أتتخذنا هزواً . . ادع لنا ربك يبين لنا ما هى . . ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها . . ادع لنا ربك يبين لنا ما هى . . إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون . !! وظلوا فى تمردهم يعمهون . . وظلوا فى تشددهم يجحدون . . .

شددوا فشدد الله عليهم . . .

---

(٢) سورة البقرة ، آية ٦٧ .

والرسول ﷺ يقول . . والله لو ذبحوا أى بقرة لكفتهم ولكنهم شددوا ، فشدد الله عليهم . .

إنه الجدال . . وكثرة السؤال . . والحديث يقول : إنما أهلك من قبلكم كثرة جدلهم . . واختلافهم على أنبيائهم . . .

فقد سأل رجل النبى ﷺ : وقال له : يا رسول الله . . الحج مرة أم مرتان ؟ . .

فسكت الرسول ﷺ ولم يجبه . . فأعاد الرجل السؤال على النبى ﷺ . . وصمت الرسول دون إجابة . . فأعادها الثالثة . . فقال له الرسول ﷺ : « لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم . . ثم قال : ذرونى ما تركتكم ، فإنما أهلك من كان قبلكم . . كثرة سؤالهم ، واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شىء فدعوه »[1] . . .

الله قال : ﴿ وأتموا الحجَّ والعُمْرَةَ لله ﴾ [2] . . . ﴿ ولله على النَّاس حجُّ البَيْت من اسْتَطَاعَ إليه سَبيلاً ﴾ [3] . . .

فمن حج مرة . . فقد حج . . ومن حج مرتين فقد حج وتطوع . . وهكذا . . فكلما كانت الاستطاعة حاضرة . . فذلك خير لك . . إلا أن الحج مرة ، فمن زاد فهو تطوع . . .

ثم قال لهم الرسول ﷺ : إن الله أمركم بأشياء فأتوا منها ما استطعتم . . ونهاكم عن أشياء فانتهوا عنها ما استطعتم . . وسكت عن أشياء رحمة بكم . . فلا تسألوا عنها ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾[4] . . .

قال : إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر « أى لا كبيرة ولا صغيرة » عوان بين ذلك « أى وسط بين الكبيرة والصغيرة » فافعلوا ما تؤمرون . . قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها . . أى : أبيض ، أم أسود ، أم أصفر ؟ . . قال : إنه يقول إنها بقرة صفراء ، فاقع

---

(١) متفق عليه .
(٢) سورة البقرة ، آية ١٩٦ .
(٣) سورة آل عمران ، آية ٩٧ .
(٤) سورة المائدة ، آية ١٠١ .

لونها تسر الناظرين ﴾ أى : إنها بقرة صفراء شديدة الصفرة ، حسن منظرها تسر كل من رآها ﴾ . . والله يسبب الأسباب ، من أجل إكرام الغلام ، صاحب البقرة . . البار بوالديه ، ومصائب قوم عند قوم فوائد . . ولذلك قالوا فى الصفرة وجمالها وبشراها . . .

من لبس نعلين أصفرين لم يزل فى مسرة حتى يذوبا .

استناداً إلى قوله تعالى : ﴿ تسر الناظرين ﴾ ثم بعد ذلك أعادوا السؤال والإلحاح . . قالوا : ادع لنا ربك يبين لنا ما هى . . إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون . . ويقول الرسول الكريم ﷺ : والله لو لم يقولوا: وإنا إن شاء الله لمهتدون ما اهتدوا إليها أبداً . . قال : إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث . . أى : ليست هذه البقرة مسخرة لحراثة الأرض ، ولا لسقاية الزرع ، مسلمة لا شية فيها . . أى : سليمة من العيوب ، ليس فيها لون آخر . . يخالف لونها الأصفر الفاقع . . قالوا : الآن جئت بالحق . . أى : الآن بينتها لنا بياناً شافياً لا غموض فيه ولا لبس . . قال الله تعالى : إخباراً عنهم . . فذبحوها وما كادوا يفعلون . . حتى جاءوا إلى الغلام وعرضوا عليه ثمناً لها ، فلم يوافق . . وقال لهم : لن أبيعها إلا بملء جلدها ذهباً . . فقال لهم موسى عليه السلام: هذا ماله ، ومن حكم فى ماله فما ظلم . . أعطوه الثمن . . فأعطوه الثمن . . وأخذوها . . فذبحوها وما كادوا يفعلون . . لغلاء ثمنها . . أو خوف الفضيحة . . ثم أخبر الله تعالى عن سبب أمرهم بذبح البقرة ، عما شهدوه من آيات الله الباهرة ، فقال وإذ قتلتم نفساً . . أى : اذكروا يا بنى إسرائيل حين قتلتم نفسا . . فادارأتم فيها ، أى : تخاصمتم وتدافعتم بشأنها ، وأصبح كل فريق يدفع التهمة عن نفسه . . وينسبها إلى غيره ، والله مخرج ما كنتم تكتمون . . أى : مظهر ما تخفون . . فقلنا اضربوه ببعضها ، أى : اضربوا القتيل بشىء من البقرة ، يحيا ويخبركم عن قاتله : كذلك يحيي الله الموتى ، أى : كما أحيا هذا القتيل أمامكم ، يحيي الموتى من قبورهم . . ويريكم آياته لعلكم تعقلون ، أى : يريكم دلائل قدرته لتتفكروا ، وتتدبروا ، وتعلموا أن الله على كل شىء قدير . . .

ثم قام الميت من موتته . . وقال :

قتلنى ابن أخى فلان . . ليعجل ميراثى . . ويتزوج ابنتى . . .

فقال له القاتل : أنا ؟ . . قال : بلى . . أنت قاتلى . . ثم خر ميتاً . . وشهادة الميت هذه تسمى « شهادة الإعجاز » فهى شهادة إعجاز لا ينطق إلا بالحق وهى تسمى فقهياً . . بشهادة « اللوث » .

وجاء فى الأثر :

« من تعجل بشىء قبل أوانه . . عوقب بحرمانه » . . فقد حرم هذا القاتل المجرم . . مما قتل من أجله . . حرم من مال عمه . . لأن القاتل لا يرث مال من قتله . . وهذه قاعدة فقهية . . « لا يرث القاتل من ميراث قتيله » . .

كما أنه حرم من الزواج بابنته . . لأن أمره افتضح بين الناس . . وعلمت أنه قاتل أبيها . . ليتزوجها . . ويستولى على مالها ! ! .

فكان عاقبته . . الخسران . . والضياع . . والقتل . . والهلاك . . فقد أوثقه موسى عليه السلام وأمر بقتله . . عاقبة بغيه . . وطغيانه . . وطمعه . .

وكانت هذه القصة الطويلة سبباً من الأسباب ، التى سببها الله من أجل الغلام البار بوالديه . . الصادق الأمين . . وهذا جزاء البر والإحسان . وذاك جزاء الكفر والخسران . . والجحد والطغيان . كفانا الله شرهما . . وجعلنا من البررة الكرام . . وعن عبد الله بن عمرو (رضى الله عنهما) قال : قال رسول الله ﷺ :

رضا الله فى رضا الوالدين ، وسخط الله ، فى سخط الوالدين[1] . . .

وعن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ :

طاعة الله ، طاعة الوالدين ، ومعصية الله ، معصية الوالدين[2] . . .

وعن عبد الله بن مسعود (رضى الله عنه) قال : سألت رسول الله ﷺ أى العمل أحب

---

(١) رواه الترمذي .

(٢) رواه البزار .

إلى الله ؟ قال : الصلاة على وقتها ، قلت : ثم أى ؟ قال : بر الوالدين . . قلت : ثم أى؟ قال : الجهاد فى سبيل الله[1] . . .

ولكى تعلم فضل البر بهما ، وسره الذى يظل فى عقب صاحبه فى الدنيا ، ونوره الذى يضىء له فى الآخرة . . أقص عليك تلك القصة ، التى جاءت فى كثير من كتب الدين على لسان نبى الأمة ، ورسول الرحمة ، محمد بن عبد الله ﷺ . . .

صالح الأعمال

عن ابن عمر (رضى الله عنهما) قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم ، حتى آواهم المبيت إلى غار ، فدخلوا فانحدرت صخرة من الجبل . . فسدت عليهم الغار ، فقالوا : إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة ، إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم ، قال رجل منهم : اللهم كان لى أبوان شيخان كبيران ، وكنت لا أطعم ولا أسقى قبلهما أهلاً ولا مالاً ، وذات ليلة تأخرت عليهما فى بعض شأنى حتى ناما ، فحلبت لهما لبنهما ، فوجدتهما نائمين ، فكرهت أن أسقى قبلهما أهلاً أو مالاً ، فلبثت والقدح فى يدى . . أنتظر استيقاظهما حتى مطلع الفجر . وأولادى يتصايحون جوعاً تحت قدمى . . فاستيقظا فشربا لبنهما ، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ، ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة . . فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج منه . . .

قال النبى ﷺ : وقال الآخر :

اللهم كانت لى ابنة عم كانت أحب الناس إلى . . فأردتها عن نفسها فامتنعت منى حتى ألمت بها سنة من السنين (أى كربة من الكروب) فجاءتنى فأعطيتها عشرين ومائة دينار ، على أن تخلى بينى وبين نفسها . . حتى إذا قدرت عليها قالت : لا يحق لك أن تفض الخاتم إلا بحقه[2] ، فتحرجت من الوقوع عليها ، فانصرفت عنها ، وهى أحب الناس إلي ، وتركت ما أعطيتها من مال !!

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) أي بالحلال لا بالحرام . . تعني الزواج .

اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ، فافرج عنا ما نحن فيه . . فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها . . .

قال النبي ﷺ : وقال الثالث :

اللهم إني استأجرت أجراء ، وأعطيتهم أجرتهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فربيت له أجره حتى كثرت منه الأموال . . فجاءني بعد حين ، فقال لي : يا عبد الله أد إليَّ أجري ؟ فقلت : كل ما ترى من الإبل والبقر والغنم والرقيق ، هو أجرك الذي استثمرته لك . . حتى تعود . . فقال : يا عبد الله لا تستهزئ بي . .

فقلت : إني لا أستهزئ بك ، هيا قم خذ هذا القطيع . . فقام فأخذه ولم يترك شيئاً !!

اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ، فافرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة . . فخرجوا يمشون[1] . . .

وعن سلمان (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ : قال :

لا يرد القضاء إلا الدعاء ، ولا يزيد في العمر إلا البر[2] . .

وعن أنس (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : من سره أن يمد له في عمره ، ويزاد له في رزقه ، فليبر والديه ، وليصل رحمه[3] . . .

وعن أبي الدرداء (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ :

الوالد أوسط أبواب الجنة ، فإن شئت فأضع هذا الباب أو احفظه[4] . . .

أي : أن الوالد سبب الدخول إلى الجنة من أفضل أبوابها . . والأوسط دائماً يعني الأفضل . . كالقلادة . . أو العقد . . أحلى ما فيه أوسطه ، والوسط من كل شيء أعدله ، وقوله تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا ﴾ أي : عدلاً . . وقوله إن شئت . . ليس

(1) رواه البخاري ومسلم .
(2) رواه الترمذي .
(3) رواه أحمد .
(4) رواه ابن ماجه والترمذي .

المراد به التخيير بين الأمرين . . بل المراد التوبيخ على الإضاعة والحث على الحفظ مثل : ﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[1] . . .

فعن أبى بكر (رضى الله عنه) عن رسول الله ﷺ قال :

كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة ، إلا عقوق الوالدين ، فإن الله يعجله لصاحبه فى الحياة قبل الممات [2] . . .

فعن عبد الله بن أبى أوفى (رضى الله عنه) قال :

كنا عند النبى ﷺ قال فأتاه آت ، فقال : شاب يجود بنفسه (يعنى يحتضر) ، فقيل له : قل لا إله إلا الله ، فلم يستطع ، فقال : كان يصلى ؟ فقال : نعم ، فنهض رسول الله ﷺ ، ونهضنا معه ، فدخل على الشاب ، فقال له : قل لا إله إلا الله ، فقال : لا أستطيع . قال : لمَ ؟ قيل : كان يعق والدته . . ويؤثر عليها زوجته ، فقال النبي ﷺ : أحية والدته ؟ قالوا : نعم ، قال : ادعوها ، فدعوها ، فجاءت ، فقال : هذا ابنك ؟ فقالت : نعم . فقال لها : أرأيت لو أشعلت نارًا ضخمة ، فقيل لك : إن شفعت له خلينا عنه ، وإلا حرقناه بهذه النار ، أكنت تشفعين له ؟ قالت : يا رسول الله : إذًا أشفع له . . قال : فأشهدى الله . وأشهدينى أنك قد رضيت عنه . . قالت : اللهم إنى أشهدك : وأشهد رسولك أنى قد رضيت عن ابنى ، فقال له رسول الله ﷺ : يا غلام قل : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فقالها ، فقال رسول الله ﷺ : الحمد لله الذى أنقذه بى من النار[3] . . .

وقيل أن النبى ﷺ أمر بإشعال النار . . أمام والدة هذا الشاب . . وأمر بإلقاء هذا الشاب فيها . . فصرخت أمه وقالت : أتحرق فلذة كبدى أمام عينى ، فقال الرسول ﷺ :

(١) سورة الكهف ، آية ٢٩ .
(٢) رواه الحاكم والأصبهانى .
(٣) رواه الطبرانى وأحمد مختصراً .

نار الدنيا ، أرحم من نار الآخرة . . إنه يصبر على نار الدنيا ولا يصبر على نار الآخرة . . فقالت المرأة : عفوت عنه يا رسول الله . . ورضيت عنه . . فنطق الشاب بالشهادتين . . .

من هنا نعلم فضل رضا الوالدين . . والثمرة التى ترجى من وراء هذا الرضا الذى هو السعادة فى الدارين . . وهو النجاة من عذاب الله . . .

فبكلمة واحدة خرج الشاب من زمرة أهل النار ، إلى زمرة أهل الجنة . . وبكلمة واحدة تخرج من فم الأم . . تعلن بها رضاها عن ولدها . . تنقله من أهل العذاب . . إلى أهل الرحمة . . وبكلمة واحدة من الأم . . ينتقل الشاب من أهل الشقاء . . إلى أهل النعيم . . فهل بعد ذلك موعظة . . نتعظ بها . . لمعاملة الوالدين . . واغتنام فرصة وجودهما . . قبل موتهما . . إنهما جنتك ونارك . . إنهما نعيمك وشقاؤك . . إنهما خيرك وشرك . . إنهما سعادتك وتعاستك . . إنهما نجاتك وهلاكك . . إنهما دنياك وآخرتك . . فاحرص عليهما . . يحرصا عليك . . واحفظهما . . يحفظاك . . وأكرمهما . . يكرماك . . وأسعدهما . . يسعداك فى الأرض . . ويسعداك فى السماء . .

واحذر . . إذا كبر سنهما . . أن تسخر منهما . . فينتقم الله منك . . لما رواه المنذرى . . عن العوام بن حوشب قال :

نزلت مرة حياً ، وإلى جانب ذلك الحى مقبرة ، فلما كان بعد العصر ، انشق منها قبر ، فخرج رجل رأسه رأس حمار ، وجسده جسد إنسان ، فنهق ثلاث نهقات ، ثم انطبق عليه القبر ، فإذا عجوز تغزل شعراً أو صوفاً ، فقالت امرأة : ترى تلك العجوز ؟ قلت : مالها ؟ قالت : تلك أم هذا ، قلت : وما قصته ؟ قالت : كان يشرب الخمر ، فإذا راح تقول له أمه : يا بنى اتق الله . . إلى متى تشرب هذه الخمر ؟فيقول لها ساخراً : إنك

تنهقين كما ينهق الحمار . . قالت : فمات بعد العصر ، قالت : فهو ينشق عنه القبر بعد العصر كل يوم ، فينهق ثلاث نهقات ، ثم ينطبق عليه القبر[1] . . .

وهذه القصة برغم ما فيها . فإنها تدلنا على مدى عقوق الوالدين ، وتصور لنا مدى انتقام الله لهما . . إذا انتهكت محارمهما . . أو ضيعت حقوقهما . . .

وإليك هذه الوصايا . . إن شئت سعادة فى الدنيا والآخرة . . .

* الجنة تحت أقدام الأمهات . . فتمرغ فيها . . .

* ولقد رأى رسول الله ﷺ رجلاً . . يحمل أمه على رأسه فى الطواف فقال : يا رسول الله هل أديت حقها . . « يعنى بهذا العمل » ، « قال ﷺ : لا ولا بزفرة واحدة ولا بطلقة واحدة » . . .

* ذهب رجل إلى النبى ﷺ وقال يا رسول الله : لقد بلغ منى أنى أحمل أبى وأمى ، وأنى أغسل لهما ثيابهما . . فيتبولان وأغسل لهما ، ويتغوطان وأغسل لهما . . أأكون بذلك قد وفيت حقهما ؟ . . .

قال الرسول ﷺ : لا : لم توف حقهما . .

فقال : لماذا يا رسول الله ؟

قال الرسول الكريم ﷺ : لأنك تفعل هذا وتتمنى موتهما . . ولقد كانا يفعلان لك ذلك ويتمنيان حياتك ! . . .

ويقول : لا يجزى ولد والده إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه[2] . . .

أى : أن العمل الأوحد الذى يستطيع به المرء أن يوفى حق والديه . . أن يجدهما عبدين مملوكين . . فيشتريهما ويعتقهما . . وهذا هو الأمر الوحيد الذى يوفى به المرء حق

---

(١) رواه الأصبهاني وغيره .

(٢) رواه مسلم .

والديه . . وهو غير موجود فى عصرنا هذا . . فاجتهدوا فى برهما . . لتبلغوا هذه الدرجة . . .

* بروا آباءكم تبركم أبناؤكم ، وعفوا تعف نساؤكم[1] . . .

* جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال :

إنى أشتهى الجهاد ولا أقدر عليه . .

فقال له النبى ﷺ :

هل بقى من والديك أحد ؟

قال : أمى . .

قال : فاسأل الله فى برها ، فإذا فعلت ذلك . . فأنت حاج ومعتمر ومجاهد[2] . . .

الجنة تحت أقدام الأمهات

* وجاءه ﷺ آخر . . يريد الجهاد . . فى سبيل الله . . قال ﷺ : أمك حية ؟

قال : نعم . .

قال ﷺ : الزم رجلها . فثم الجنة[3] . . .

* عن ابن عمر (رضى الله عنهما) قال : كان تحتى امرأة أحبها . . وكان عمر يكرهها . . فقال لى طلقها . . فأبيت . . فأتى عمر رسول الله ﷺ . . فذكر له ذلك فقال له النبى الكريم ﷺ : طلقها[4] . . .

* من سره أن يمد له فى عمره . . ويزاد له فى رزقه . . فليبر والديه ﷺ [5] . . .

طوبى له . . زاد الله فى عمره . .

(١) رواه الطبراني والحاكم .
(٢) رواه الطبراني
(٣) رواه الطبراني .
(٤) رواه الترمذي .
(٥) رواه أحمد .

* وقوله ﷺ : رغم أنفه ثم رغم أنفه ثم رغم أنفه « أى لعق التراب من الذل » . قيل : من يا رسول الله ؟! قال : من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة . . أو . . لا يدخلانه الجنة[1] . . .

* صعد النبى ﷺ . . المنبر فقال : آمين آمين آمين . . ثم قال : أتانى جبريل عليه السلام فقال : يا محمد : من أدرك أحد أبويه ثم لم يبرهما . . فمات . . فدخل النار . . فأبعده الله ، قل آمين . . فقلت : آمين . . قال : ومن ذكرت عنده . . فلم يصل عليك . . فمات ، فدخل النار . . فأبعده الله . . قل آمين . . فقلت : آمين . . قال : ومن أدرك شهر رمضان . . فمات . . فلم يغفر له . . فأدخل النار . . فأبعده الله قل : آمين . . فقلت : آمين . . .

* أكرم والديك . . حتى ولو كانا على غير دين الإسلام . . .

* وأطعهما حتى لو أمراك أن تأخذ بيديهما إلى إحدى الكنائس . . ولكن لا تصل معهما . وذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[2] . .

وتروى أسماء بنت أبى بكر (رضى الله عنهما) : أن أمها نزلت عليها وهى على غير دين الإسلام . . فذهبت (رضى الله عنها) إلى النبى ﷺ . تسأله فى هذا الأمر . . هل تبر أمها ؟ فأمرها رسول الله ﷺ أن تبر أمها . . .

* يقول الرسول الكريم ﷺ :

إن أبر البر أن يصل المرء ود أبيه[3] . . أى : أصدقاء أبيه . . ومحبيه . . .

(١) رواه مسلم .

(٢) سورة لقمان ، آية ١٥ .

(٣) رواه مسلم .

* فعن عبد الله بن عمر (رضى الله عنهما) . . أنه لقيه رجل من الأعراب بطريق مكة . . فسلم عليه عبد الله بن عمر . . وحمله على حمار كان يركبه . . وأعطاه عمامة كانت على رأسه . . قال ابن دينار : فقلنا : أصلحك الله . . إنهم الأعراب وهم يرضون باليسير . . فقال عبد الله بن عمر : إن أبا هذا الرجل كان ودوداً إلى أبى عمر بن الخطاب . . وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن أبر البر . . صلة الولد أهل ود أبيه [1] . .

* وعن أبى بردة (رضى الله عنه) قال : قدمت المدينة . . فأتانى عبد الله بن عمر (رضى الله عنهما) فقال : أتدرى لمَ أتيتك ؟ قلت : لا . . قال : فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : من أحب أن يصل أباه فى قبره ، فليصل إخوان أبيه بعده ، وإنه كان بين أبى عمر بن الخطاب وأبيك إخاء وود . . فأحببت أن أصل ذلك . . .

* وعنه ﷺ [2] :

بر الوالدين : أفضل من الصلاة . . والصدقة . . والصوم . . والحج . . والعمرة . . والجهاد فى سبيل الله . . .

* وقال المعصوم صلوات ربى وسلامه عليه :

إن الجنة يوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام ، ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم . . .

* وقوله ﷺ :

من أصبح مرضياً لأبويه . . أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة ، ومن أمسى . . فمثل ذلك ، وإن كان واحداً فواحداً . . وإن ظلما وإن ظلما . . ومن أصبح مسخطاً لأبويه . . أصبح له بابان مفتوحان إلى النار . . ومن أمسى فمثل ذلك . . وإن كان واحداً فواحداً . . وإن ظلما وإن ظلما وإن ظلما . . .

(١) رواه مسلم .

(٢) (مكاشفة القلوب) للإمام الغزالي . . بر الوالدين وحقوق الأولاد .

* ويقول رسول الله ﷺ :

بر أمك وأباك ، وأختك وأخاك ، ثم أدناك فأدناك . .

* ويروى أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام : يا موسى إنه من بر والديه وعقنى . . كتبته باراً . . ومن برنى وعق والديه كتبته عاقاً . . .

* وقيل لما دخل يعقوب على يوسف عليهما السلام لم يقم يوسف لأبيه . . فأوحى الله إليه . . يا يوسف : أتتعاظم أن تقوم لأبيك . . وعزتى وجلالى لا أخرج من صلبك نبياً . . .[1] .

اجعلها لوالديك

* وقال ﷺ . . زيادة فى بر الوالدين :

ما على أحدكم إذا أراد أن يتصدق بصدقة . . أن يجعلها لوالديه (أى يجعل لوالديه أجرهما) ويكون له مثل أجرهما . . من غير أن ينقص من أجرهما شىء . . ولا من أجره .

* وقول الرسول الكريم ﷺ :

ثلاث من فرق بينهن : فرق الله بينه وبين رحمته يوم القيامة . . .

من قال : أطيع الله . . ولا أطيع الرسول . . والله يقول : « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول » . .

ومن قال : أقيم الصلاة ولا آتى الزكاة ، والله يقول : «وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » .

ومن قال : أشكر الله ولا أشكر والدى ، والله يقول : « أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير » . . .

(١) المرجع السابق .

* ويقول الحبيب الخاتم ﷺ :

ثلاث دعوات مستجابات ، ولا شك فيهن :

دعوة المظلوم ، ودعوة المسافر ، ودعوة الوالد على ولده . .

* ويقول عليه الصلاة والسلام :

رأيت ليلة أسرى بى أقواماً فى النار ، معلقين فى جذوع من نار ، فقلت : يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : الذين يشتمون آباءهم وأمهاتهم فى الدنيا . . .

* ويقول الهادى المعصوم ﷺ :

من الكبائر شتم الرجل والديه . . قالوا :

يا رسول الله هل يشتم الرجل والديه ؟!

قال : نعم يسب أبا الرجل . . فيسب أباه ، ويسب أمه . . فيسب أمه . . .

* ويقول المختار عليه الصلاة وأزكى السلام :

لا يدخل الجنة عاق ، ولا منان ، ولا مدمن خمر . . .

* وفى الحديث القدسى . . يقول رب العزة : أنا الله وأنا الرحمن ، خلقت الرحم ، وشققت لها اسماً من اسمى ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته .

ويقول المصطفى ﷺ :الرحم معلقة بالعرش تقول : من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله . . .

* وكانت أول كلمة ألقاها النبى ﷺ عندما هاجر إلى المدينة المنورة :

أيها الناس : أفشوا السلام ، وألينوا الكلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام !!

والوالدان : الأم والأب هما أول الأرحام . .

وخير الأرحام . . وأصل الأرحام . .

* وقد أكرم الله الوالدين . . لفضلهما وتحملهما مشاق ومتاعب الإنجاب والتربية بأن جعلهما بصلاحهما فى الدنيا . . من السعداء . . فى الآخرة . . فجعل الوالد سيداً على قصره فى الجنة ، والأم سيدة على قصرها فى الجنة . . وجعل الحور العين اللائى يتزوج بهن الرجل فى الجنة . . ما هن إلا وصيفات للأم . . الملكة . . فتهتف الحور العين . . وتنادى ربها : يا ربنا . . كيف تجعل علينا هذه المرأة التى عصت وأذنبت فى الدنيا . . ونحن اللائى لم نعصك قط ؟!

فيقول الله تعالى : لا أجعل من حملت ووضعت وربت . . كمن خلقت بيدى !!

• • •

وصـايا الله بالوالدين
فى الكتب السماوية

﴿ وَوَصَّيْنَا الإنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ﴾
(سورة الأحقاف ، آية ١٥)

وصايا الله بالوالدين

فى القرآن الكريم والكتب السماوية

فقد وصى القرآن الكريم بالوالدين بعد عبادة الله سبحانه وتعالى . .

فقال جل شأنه :

* ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ (١) . . .

وقد بين القرآن الكريم أن الوصية شملت الديانات السابقة . . فمثلاً فى التوراة :

* ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾(٢) . .

* ويتصدر الإحسان إلى الوالدين « الوصايا العشر » بعد الوحدانية . . .

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ (٣) . .

* ثم يحث القرآن الكريم على الوصية . . مبيناً الحيثيات التى من أجلها جاءت الوصية . . فيشير جل شأنه إلى الآلام الشديدة التى تقاسيها الأم عند الحمل . . والأوجاع والزفرات التى تواجهها عند الوضع . . والتبعات التى تلاقيها فى التربية . . فيقول تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾ (٤) . .

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ ﴾ (٥) . .

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾(٦) . .

---

(١) سورة النساء ، آية ٣٦ .

(٢) سورة البقرة ، آية ٨٣ .

(٣) سورة الأنعام ، آية ١٥١ .

(٤) سورة الأحقاف ، آية ١٥ .

(٥) سورة لقمان ، آية ١٤ .

(٦) سورة الإسراء ، آية ٢٣ .

﴿ يا أيُّها الَّذين آمنُوا ليستأْذنكُمُ الَّذين ملَكتْ أيْمانُكُمْ والَّذين لمْ يبْلُغُوا الْحُلُم منكُمْ ثلاث مرَّات مّن قبْل صلاة الْفجْر وحين تضعُون ثيابكُم مّن الظَّهيرة ومنْ بعْد صلاة الْعشاء ثلاثُ عوْرات لَّكُمْ ليْس عليْكُمْ ولا عليْهمْ جُناحٌ بعْدهُنَّ طوَّافُون عليْكُم بعْضُكُمْ علىٰ بعْضٍ كذٰلك يُبيّنُ اللَّهُ لكُمُ الآيات واللَّهُ عليمٌ حكيمٌ ﴾[1] . .

ولقد قال رجل للنبي ﷺ أأستأذن على أمي ؟

قال عليه الصلاة والسلام : أتحب أن تراها عارية ؟ . . قال الرجل : لا . . قال الرسول الكريم : فاستأذن . . .

﴿ واتَّقُوا اللَّه الَّذي تساءلُون به والأرْحام ﴾[2] . .

﴿ والَّذين يصلُون ما أمر اللَّهُ به أن يُوصل ﴾[3] . .

﴿ ووصَّيْنا الإنسان بوالديْه حُسْنًا وإن جاهداك لتُشْرك بي ما ليْس لك به علْمٌ فلا تُطعْهُما إليَّ مرْجعُكُمْ فأُنبّئُكُم بما كُنتُمْ تعْملُون ﴾[4] . .

فقد نزلت هذه الآية ومثيلاتها في سعد بن أبي وقاص وأمثاله . . فعندما دخل الإسلام . . غضبت أمه وهددته أن يرجع عن هذا الدين ، أو أن تضرب عن الطعام والشراب حتى تموت ، فيعيره العرب بها . . ولكن سعد بن أبي وقاص . . كان أكبر من هذا . . فقال لها يا أمي والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ، ما رجعت عن هذا الدين أبداً . . فنزل فيه وفي أمثاله قوله تعالى :

﴿ لا تجدُ قوْمًا يُؤْمنُون باللَّه والْيوْم الآخر يُوادُّون منْ حادَّ اللَّه ورسُولهُ ولوْ كانُوا آباءهُمْ أوْ أبْناءهُمْ أوْ إخْوانهُمْ أوْ عشيرتهُمْ أُولٰئك كتب في قُلُوبهمُ الإيمان وأيَّدهُم برُوحٍ مّنْهُ ويُدْخلُهُمْ جنَّاتٍ تجْري من تحْتها الأنْهارُ خالدين فيها رضي اللَّهُ عنْهُمْ ورضُوا عنْهُ أُولٰئك حزْبُ اللَّه ألا إنَّ حزْب اللَّه هُمُ الْمُفْلحُون ﴾[5] . .

---

(1) سورة النور ، آية ٥٨ .
(2) سورة النساء ، آية ٢٤ .
(3) سورة الرعد ، آية ٢١ .
(4) سورة العنكبوت ، آية ٨ .
(5) سورة المجادلة ، آية ٢٢ .

ولم يجد الله أعظم من الأم يمن بها على عباده . . ويسبل بها نعمه عليهم ظاهرة وباطنة . . خلقاً من بعد خلق . . فى ظلمات ثلاث . . .

فيقول تعالى . . فى التوراة . . كتابه إلى بنى إسرائيل . . معدداً نعمه على خلقه فى أدب ربانى . . تخر له الجبال خشوعاً . . والقلوب تسليماً . . والعيون دموعاً . . لجلال ما فيه . . وبلوغ ما يحتويه !!

يقول سبحانه :

يا ابن آدم . . جعلت لك قراراً فى بطن أمك ، وغشيت وجهك بغشاء ، لئلا تفزع من الرحم ، وجعلت وجهك إلى ظهر أمك ، لئلا تؤذيك رائحة الطعام ، وجعلت لك متكأ عن يمينك ، ومتكأ عن شمالك ، فأما الذى عن يمينك فالكبد ، وأما الذى عن شمالك فالطحال ، وعلمتك القيام والقعود فى بطن أمك ، فهل يقدر على ذلك أحد غيرى ؟ . .

فلما أن تمت مدة حملك . . أوحيت إلى الملك الموكل بالأرحام أن يخرجك . . فأخرجك على ريشة من جناحه . . لا لك سن يقطع . . ولا يد تبطش . . ولا قدم تسعى بها . . وأنبت لك عرقين رقيقين فى صدر أمك . . يجريان لك لبناً خالصاً . . حارا فى الشتاء . . بارداً فى الصيف . . وألقيت محبتك فى قلب أبويك . . فلا يشبعان حتى تشبع . . ولا يرقدان حتى ترقد . . فلما أن قوى ظهرك . . واشتد أزرك . . بارزتنى بالمعاصى . . واعتمدت على المخلوقين . . ولم تعتمد على . . وتسترت ممن يراك . . وبارزتنى بالمعاصى فى خلواتك . . ولم تستح منى . . ومع هذا . . إن دعوتنى أجبتك . . وإن سألتنى أعطيتك . . وإن تبت إلى قبلتك !!

المـــوت والحيـاة

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾

(سورة الملك ، آية ٢)

المـوت والحيـاة

قال تعالى :

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾[1] . .

وقال رسول الله ﷺ :

لتموتن كما تنامون . . ولتبعثنّ كما تستيقظون . .

كل حي ميت . . .

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ ﴾[2] . .

﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[3] . .

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾[4] . .

كل حي سيموت — ليس في الدنيا ثبوت
حركات سوف تفنى — ثم يتلوها خفوت
وكلام ليس يحلو — بعده إلا السكوت
أيها السادر قل لي : — أين ذاك الجبروت
كنت مطبوعاً على النطق — فما هذا الصموت
عمرت منهم قبور — وخلت منهم بيوت
إنما الدنيا خيال — باطل سوف يفوت
ليس للإنسان فيها — غير تقوى الله قوت

(1) سورة آل عمران ، آية ١٨٥ .
(2) سورة الرحمن ، آية ٢٦ ، ٢٧ .
(3) سورة القصص ، آية ٨٨ .
(4) سورة الزمر ، آية ٣٠ .

كل حى ميت . . .

وتخرج الروح من الجسد . . يخرج الوجود من العدم . . يخرج النور من التراب .

من كل ذرة فى الجسم . . يخرج شيئاً فشيئاً . .

وليس الموت هو نهاية الحياة . . وإنما الموت هو نهاية الدنيا . . وبداية الآخرة . . بداية الخلود . . فى الجنة أو النار . .

ولن يترك أحدكم الدنيا ، حتى يرى مقعده فى الجنة أو النار . .

فخير نفسك بين الجنة والنار . .

خيـــــــار[1]

خـيـرتك نفـسى فـاخـتـاري	مـــــا بين الجنـــة والـنـــار
مـــا بين الـنار وزفــــرتهـــا	والجنــــة ذات الأنـهـــــــار
فـخـذى حـذرك من زخـرفـهـا	ودعــى أعـــمـــال الفــجـــار
لـتكـونـى ذاتـا صــــالحـــة	وتكـونـــى ضـــمن الأبــــرار

آسية زوجة فرعون

وكانت آسية زوجة فرعون مؤمنة تكتم إيمانها ، وعندما علم فرعون بإيمانها عذبها عذاباً شديداً . . فقالت له : عذبنى كما تشاء . . فإن قلبى لاسلطان لك عليه . . إن قلبي . . ملك ربى . .

آمنت بربى . . وحبه ملء قلبى . . .

فلما أصرت على إيمانها ، وتمسكت بدينها . . أحضر ناراً ليحرقها بها . فرفعت آسية بصرها إلى السماء وقالت :

يا رب أذكرك بلسانى . . فبماذا أذكرك لو أحرق لسانى . . . ؟!

(١) من شعر المؤلف .

﴿ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[1].

فأنزل الله ملك الموت ليقبض روحها . . فتبسمت وهي تموت لأنها رأت مكانها في الجنة . .

﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾[2].

فقد رأت الجنة وهى فى النار . . فى نار فرعون . .

ورأت النعيم وهى فى العذاب . .

ورأت الرحمة وهى فى القسوة . .

ورأت السماء وهى على الأرض . .

فقد كان جسمها فى الفرش ، وروحها فى العرش . .

وعندما ابتسمت ظن فرعون أنها تبتسم سخرية منه . . فقال :

لقد أحرقت القلوب والأفئدة ، وما أحرق قلبى سوى امرأة .

لقد ظن أنها تبتسم سخرية منه ، لكنها كانت تبتسم ابتسامة الحبيب لحبيبه ، ابتسامة شوق للقاء الله . . . وهى تقول :

يطول اشتياقى بطول الحياة ... ويحلو اللقاء إذا الشوق طال

لسانى بذكرك لم ينثني ... وقلبى بذكرك دون انشغال

أحبك فى كل شيء جميل ... فأنت جميل تحب الجمال[3]

(١) سورة التحريم ، آية ١١ .

(٢) سورة القمر ، آية ٥٥ .

(٣) من شعر المؤلف .

يقول على بن أبى طالب (رضى الله عنه) :

ألف ضربة بالسيف . . أهون من خروج الروح من الجسد . . .

يدلنا على ذلك . قول عمرو بن العاص (رضى الله عنه) حينما حضرته الوفاة واصفاً سكرات الموت . . وصفاً دقيقاً . .

فقد ورد أنه عندما حضرته الوفاة (رضى الله عنه) . . سأله الناس ماذا تجد يا ابن العاص ؟!

قال (رضى الله عنه) . . وهو الصحابى الجليل الذى قال فيه رسول الله ﷺ :

« يا عمرو : نعم المال الصالح للرجل الصالح » . .

« يا عمرو : الإسلام يجب ما قبله » . .

« يا عمرو : اليوم عمل ولا حساب . . وغداً حساب ولا عمل » . .

وهو فاتح أرض مصر فى عهد الخليفة العادل عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) .

يقول عمرو بن العاص واصفاً سكرات الموت :

أشعر الآن كأن السموات انطبقت على الأرض فليس بها فرجة . .

وأشعر كأن روحى تخرج من ثقب إبرة . .

وأشعر كأنى عصفور على مقلاة زيت ساخن . .

لا هو يطير فيستريح . . ولا هو يموت فيستريح . .

هذا صحابى جليل من صحابة رسول الله ﷺ . .

فما بالنا بمن يرتكب من الذنوب والآثام . . ما لا تحصيه الأرقام . .

وهو يفتخر بها ، ويدعو إليها . . وهو غافل عن الموت . . والموت أقرب إليه من حبل الوريد . . فالموت أقرب إلى الإنسان . . من السنان إلى اللسان . .

فـــالموت أقـــرب غـــائب	والمـــوت أســـرع مـــورد[1]
والمـــوت يـأتـــى بغـــتـــة	لا يـأتـــين بمـوعـــــــد
والـــكـــل يـــطـــويـــه الـــردى	فـــالمـــرء غـــيـــر مـــخـــلد

خير من الدنيا وما فيها

فالدنيا ساعة ، نقضيها طاعة ، والنفس طماعة ، نلزمها القناعة . . فاصنع الخير . . يصنع لك . . وازرع اليوم . . تحصد غداً . .

ويروى أن رجلاً . . .

جاء مقبرة ذات يوم . . .

فصلى ركعتين . . ثم اضطجع . . فرأى صاحب القبر . .

فقال له :

يا هذا إنكم تعملون ولا تعلمون . . .

ونحن نعلم ولا نعمل . . .

وإن ركعتين فى صحيفة العبد خير من الدنيا وما فيها ! !

الجنة أو النـــار

وليس بعد الموت من دار : إلا الجنة ، أو النار . . .

فبعـد الموت . . بعـد فراق الأحبـاب . . والخـلان والأصحاب . . يبدأ الحساب ولا نترك سدى . . .

(١) من شعر المؤلف « ديوان لؤلؤ ومرجان » .

فـلـو أنـا إذا مـــــــتـنـا تـركـنـا	لـكـان المـوت راحـــــة كـل حـي
ولـكـنـا إذا مـــــتـنـا بـعـــــثـنـا	ونـســـأل بعـــده عن كـل شـى[1]

القـبـر والعمـل

فمن شب على شيء شاب عليه ، ومن شاب على شيء مات عليه ، ومن مات على شيء بعث عليه ، ومن بعث على شيء حوسب عليه !!!

ويحمل الميت إلى قبره !!!

وترفرف روحه من حوله !!!

وينادى المنادى عليه !!!

جاءوا ودفنوك . . وذهبوا وتركوك . . ولو ظلوا معك ما نفعوك . . ولم يبق لك إلا أنا وأنا الحى الذى لا يموت . .

أنا ملك الملوك . . أنا ملك الملوك . . أنا ملك الملوك . .

فالميت إذا مات . .

تبعه إلى القبر ثلاث :

أهله ، وماله ، وعمله . . فيرجع أهله وماله . . .

ويدخل معه القبر عمله . . إن خيراً فخير . . وإن شراً فشر . . .

وليس فى القبر سرير ولا مرتبة . . ولكن ديدان وأتربة . . !!

والقبر إما روضة من رياض الجنة . . أو حفرة من حفر النار . . !!

إنه الموت . . . :

مفرق الجماعات ، هازم اللذات ، مرمل النساء ، ميتم البنين والبنات !!!

(١) من الشعر المنسوب إلى الإمام على .

النفس الأمارة بالسوء

قال تعالى :

﴿ إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1]

ضمة الأسد لفريسته

فقد ورد أنه إذا مات العبد العاصي . . تبعه عمله إلى قبره . . وكان أول شيء يقابله . . هو ذلك العمل الذي يُضَيِّقُ عليه قبره . . ويوحش ظلمته . . فإذا أغلق عليه قبره . . جاءه رجل وجهه أسود من الليل . . ورائحته أنتن من الجيف . . فيقول العبد العاصي : من أنت بوجهك الذي يأتي بشر . . ؟

فيقول له : أبشر . . أنا عملك . . ثم . . لا دريت ولا تليت . !!

ويضمه القبر ضمة الأسد لفريسته !!!

النفس المطمئنة

قال تعالى :

﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾[2] . . .

---

(١) سورة يوسف ، آية ٥٣ .

(٢) سورة الفجر ، آية ٢٧ - ٣٠ .

ضمة الحبيب لحبيبه

ولقد ورد أنه إذا مات العبد الصالح . . تبعه عمله إلى قبره وكان أول شيء يقابله . . هو ذلك العمل الذى يضيء له ظلمة القبر . . ويؤنس وحشته . . فإذا دخل قبره . . جاءه رجل وجهه كالشمس عند مطلعها ورائحته كالمسك . !!

فيقول له العبد الميت :

من أنت بوجهك الذى يأتى بخير ؟

فيقول له :

أبشر أنا عملك !!!

نم مستريحاً أراحك الله !!!

ويضمه القبر ضمة الحبيب لحبيبه !!!

كرامة

وعندما حضرت الوفاة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين بحق وصدق .

قال لأهله وذويه :

اخرجوا الآن . . فإنى أرى وجوهاً ليست بوجوه إنس ولا جان . .

فخرج القوم جميعاً . . ونظروا . . فوجدوه وهو الذى لا يقوى على الحركة . . وقد قام من فراشه . . يصافح قوماً نورانيين يرتدون ثياباً بيضاء . . قد امتلأت بهم الحجرة ، وهو يقول :

عليك السلام نبى الله آدم . . عليك السلام ورحمة الله وبركاته .

عليك السلام صفى الله نوح . . عليك السلام ورحمة الله وبركاته .

عليك السلام خليل الله إبراهيم . . عليك السلام ورحمة الله وبركاته .

عليك السلام كليم الله موسى . . عليك السلام ورحمة الله وبركاته .

عليك السلام نجى الله عيسى . . عليك السلام ورحمة الله وبركاته .

عليك السلام حبيب الله محمد . . عليك السلام ورحمة الله وبركاته .

ثم استلقى على فراشه وهو يتلو :

﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُواً فِي الأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[1].

وأسلم وروحه الطاهرة لله . . .

كرامات

وعندما مرض الإمام الشافعى (رضى الله عنه) أرسل إلى السيدة نفيسة (رضى الله عنها) يسألها الدعاء . . وكانت كلما مرض الشافعى أرسلت إليه تقول :

أقرئ الشافعى منى السلام . . وقل له :

شفاك الله يا شافعى .

ولكنها فى هذه المرة . . أرسلت إليه تقول :

أقرئ الشافعى منى السلام . . وقل له :

متعك الله بالنظر إلى وجهه الكريم ! !

فأحس الشافعى بدنو الأجل . . وقال :

إنه الفراق . . إنه الموت . .

(١) سورة القصص ، آية ٨٣ .

لقد كانت فى كل مرة تدعو الله لى بالشفاء . . ولكنها فى هذه المرة . .

أرسلت تقول :

متعك الله بالنظر إلى وجهه الكريم !!

ثم بكى الشافعى . . وبكى من حوله .

يقول إبراهيم بن يحيى :

دخلت على الشافعى فى مرضه الذى مات فيه . . فقلت له :

كيف أصبحت يا شافعى ؟

قال :

أصبحت من الدنيا راحلاً . . وللإخوان مفارقاً . . ولكأس المنية شارباً . . وعلى الله عز وجل وارداً . . ولا والله ما أدرى روحى تصير إلى الجنة فأهنيها . . أم إلى النار فأعزيها . .

ثم بكى وأنشأ يقول :

ولما قسا قلبى وضاقت مذاهبي	جعلت الرجا منى لعفوك سلما
تعاظمنى ذنبى . . فلما قرنته	بعفوك ربى . . كان عفوك أعظما

ثم أوصى أن يكتب على قبره :

كأن يومى عليّ حتم	وليس للشامتين يومُ
يوم القيامة . . لا مالٌ ولا ولدٌ	وضمة القبر تنسى ليلة العرسِ

• • •

فى رحمة الله

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

(سورة آل عمران ، آية ١٠٧)

فى رحمة الله

قال الحافظ ابن عساكر فى ترجمة عبد الله بن مسعود ، عن أبى ظبية قال :

مرض عبد الله بن مسعود . . مرضه الذى توفى فيه ، فعاده عثمان بن عفان :

فقال : ما تشتكى ؟ . .

قال : ذنوبى . . .

قال : فما تشتهى ؟ . .

قال : رحمة ربى . .

قال : ألا آمر لك بطبيب ؟ . .

قال : الطبيب أمرضنى . .

قال : ألا آمر لك بعطاء . . « أى مال » ؟ . .

قال : لا حاجة لى فيه . .

قال : يكون لبناتك من بعدك . .

قال : أتخشى على بناتى الفقر ؟ . .

إنى أمرت بناتى أن يقرأن كل ليلة سورة الواقعة ، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً [(١)] . . .

يا قارئاً للواقعة ليلاً بعين دامعة

لا لن تصاب بفاقة لا لن تصاب بفاجعة

بل سوف تظفر بالرضا وتكون نفسك قانعة

فى جنة قدسية فوق السماء السابعة[(٢)]

(١) تفسير بن كثير ج ٤ ص ٢٨١ .

(٢) من شعر المؤلف .

هـذا . . ونحن نعلم أن :

الناس يبعثون على ما ماتوا عليه . . .

فمن مات وهو يصلي . . بعث وهو يصلي . . ومن مات وهو يحج . . بعث وهو يلبي : لبيك اللهم لبيك ، ومن مات وهو سكران . . بعث وهو سكران . . وهكذا وهكذا . . .

يبعث الناس على ما ماتوا عليه . . إن خيراً فخير وإن شراً فشر . . .

وكان أحد الصالحين قد اعتاد أن يختم القرآن كل ثلاثة أيام . . ختمة . . وذات يوم كان يجلس معه أحد الصالحين . . يقرأ عليه . . إلى أن جاء عند قوله تعالى في سورة يس ﴿ إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (1) ثم مات . . فقال الرجل مستغرباً كيف يختم لهذا الرجل الصالح بهذه الآية ؟ وقال في نفسه : لعل هذا الرجل كان يظهر غير ما يبطن . . ولعله كان يدعي الصلاح . . وهو أبعد ما يكون عنه . . وإلا كان ختامه حسناً . . كأن يموت عند قوله تعالى :

﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (2) . . .

﴿ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾(3) . .

﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾(4) . .

﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴾(5) . .

إلخ . . هذه الآيات المبشرات . . .

من هنا يبين لنا الله أن الخاتمة لا يعلمها إلا هو . . سبحانه وتعالى . .

---

(1) سورة يس ، آية ٢٤ .
(2) سورة الأنعام ، آية ١٢٧ .
(3) سورة ق ، آية ٣٥ .
(4) سورة الأعراف ، آية ١٥٦ .
(5) سورة الحجر ، آية ٤٦ .

ولم تمر إلا ثلاثة أيام . . .

حتى جاء فى المنام لصاحبه . . فى حال حسنة . . ويرتدى ثياب أهل الجنة . . يرفل فى رياضها . .

فقال له صاحبه . . كيف حالك ؟ . .

قال : أكرم الله مآبى ، وأجزل ثوابى ، وقال هذا بفضل تلاوتك لكتابى . .

فقال له : ولكنى أريد أن أسألك سؤالاً . . .

قال : وما هو ؟ . .

قال له : كيف يختم لك بـ ﴿ إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾[1] . .

قال : وما أدراك أنه ختم لى بها . .

قال له : لقد كنت أجلس معك وسمعت هذا بأذنيّ هاتين . .

قال : لا . . .

إننى عندما أقعدنى الملكان . . وسألانى من ربك ؟ . . .

قلت : ﴿ إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴾[2] . . قيل ادخل الجنة . . ﴿ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴾[3] ، ﴿ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾[4] . . .

لقد أكمل الآيات وهو فى القبر . . وصدق من قال :

من شب على شىء شاب عليه ، ومن شاب على شىء مات عليه ، ومن مات على شىء بعث عليه . . ومن بعث على شىء حوسب عليه . . لقد مات على مائدة القرآن ، وبعث على مائدة القرآن ، فاستقبلته ملائكة الرحمن . . فى جنة رضوان . . بالمسك والزعفران . . والروح والريحان . . وقالت له : ادخل الجنة بسلام !!

• • •

(١) سورة يس ، آية ٢٤ .
(٢) سورة يس ، آية ٢٥ .
(٣) سورة يس ، آية ٢٦ .
(٤) سورة يس ، آية ٢٧ .

إصلاح ذات البين

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾
(سورة الأنفال ، آية ١)

إصلاح ذات البين

يقول تعالى :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[1] .

يقول تعالى :

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾[2] .

ويقول رسول الله ﷺ : « لا يكون كذباً أن تصلح بين اثنين . . كأن تذهب إلى هذا . . وتقول : فلان يقول عنك خيراً . . وتذهب إلى الآخر وتقول : فلان يثنى عليك خيراً . . من أجل أن تزيل من القلوب البغضاء . . ومن النفوس الشحناء . . فهذا لا يكون كذباً . . بل هو حق وصدق تثاب عليه . . ولا تعاقب عليه . . فإن الله تعالى يصلح بين المتخاصمين يوم القيامة . ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾[3] . إن الله تعالى من أسمائه الغفور . . والعفو . . يعفو عمن أساء . . ويتجاوز عمن أذنب فهو الذى يمد يده بالليل ليتوب مسىء النهار . . ويمد يده بالنهار ليتوب مسىء الليل . . حتى تطلع الشمس من مغربها . . فكان حقاً على العبد . . أن يتخلق بأخلاق الله . . فيعفو عمن أساء إليه . . ويغفر لمن أخطأ . . فمن أراد أن يعفو الله عنه . . فليعف عن أخيه . . ومن أراد أن يغفر الله له ، فليغفر لإخوانه ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[4] .

أحسن إلى الأعداء والأصدقاء ... فإنما أنس القلوب الصفاء

واغفر لأصحابك زلاتهم ... وسامح الأعداء تمح العداء

وبينما رسول الله ﷺ جالس إذ ضحك حتى بدت ثناياه . . فقال عمر (رضى الله عنه) بأبى أنت وأمى يا رسول الله . . ما الذى أضحكك ؟

---

(١) سورة الحجرات ، آية ١٠ .
(٢) سورة الأنفال ، آية ١ .
(٣) سورة الحجر ، آية ٤٧ .
(٤) سورة النور ، آية ٢٢ .

قال : رجلان من أمتى جثيا بين يدى رب العزة . . فقال أحدهما : يا رب خذ لى مظلمتى من هذا .

فقال الله عز وجل : رد على أخيك مظلمته .

فقال : يا رب لم يبق من حسناتى شىء .

فقال الله عز وجل للطالب : كيف تصنع بأخيك . . ولم يبق من حسناته شىء .

فقال : يا رب فليحمل عنى من أوزارى . . ثم فاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء وقال :

إن ذلك ليوم عظيم يحتاج الناس فيه . . إلى من يحمل عنهم أوزارهم . . قال :

فيقول الله عز وجل للمتظلم : ارفع بصرك . . فانظر فى الجنان . . ماذا ترى ؟

فقال : يا رب . . أرى مدائن من فضة . . وقصوراً من ذهب . . مكللة باللؤلؤ والمرجان . . والياقوت والزعفران . . والمسك والريحان . . والحور والولدان . . لأى نبى هذا . . لأى صديق هذا . . لأى شهيد هذا . . ؟!

قال الله عز وجل : لا . . هى ليست لأحد من هؤلاء . . إنها لمن أعطى الثمن . .

فقال : يا رب ومن يملك ثمن هذا ؟!

قال الله عز وجل : أنت تملكه . .

قال : بماذا يا رب . . ؟!!

فقال : بعفوك عن أخيك .

قال : يا رب قد عفوت عنه . .

قال الله عز وجل : خذ بيد أخيك إلى الجنة !!

ثم قال الرسول ﷺ :

فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم . . لأن الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة . .

فأصلح بين أخويك ..

(*) وامش ميلاً عد مريضاً . .

(*) وامش ميلين أصلح بين اثنين . .

(*) وامش ثلاثة أميال زر أخاً فى الله . .

هذا واعلم أن العقلاء ثلاثة :

(*) من ترك الدنيا قبل أن تتركه . .

(*) ومن بنى قبره قبل أن يدخله . .

(*) ومن أرضى خالقه قبل أن يلقاه . .

لهذا .. فليكن حظ المؤمن منك ثلاثاً ..

(*) إذا لم تنفعه فلا تضره . .

(*) إذا لم تكرمه فلا تهنه . .

(*) إذا لم تمدحه فلا تذمه . .

واعلم أن الله رحيم كتب على نفسه الرحمة . . غفور كتب على نفسه المغفرة . . كريم كتب على نفسه الكرم . . عفو كتب على نفسه العفو . . فإذا وجدك الله كريماً فى الدنيا . . قال لملائكته يوم القيامة . .

أكرموا عبدى فقد كان يكرم عبادى فى الدنيا . . ونحن أولى بالكرم منه . . ونحن أولى بالعفو منه . . ونحن أولى بالجود منه . . أكرموه . . فأنا أكرم الأكرمين . .

وقد سمع النبى ﷺ أعرابياً يقول : يا كريم . . فقال النبى ﷺ : يا كريم . . فقال الأعرابى للنبى ﷺ وهو لا يعرفه : أتهزأ بى يا أخا العرب . . والله إن لم تكف عنى . . شكوتك إلى حبيبى وقرة عينى . .

فقال له النبى ﷺ : ومن حبيبك وقرة عينك . . ؟!

قال الأعرابى : حبيبى محمد ﷺ . .

فقال النبى ﷺ : ألا تعرف حبيبك وقرة عينك . . ؟!

قال الأعرابى : لا ولكنى أحببته وإن لم أره . . واشتقت إليه وإن لم ألقه . .

فقال له النبى ﷺ : أنا حبيبك محمد ﷺ . .

فقام الأعرابى إلى النبى وعانقه وقبله . . وقال له :

بأبى أنت وأمى يا رسول الله . . حدثنى عن يوم القيامة - حدثنى عن الحساب . .

فقال الرسول ﷺ : سوف يحاسبنا الله تعالى عن كل صغيرة وكبيرة . .

قال الأعرابى : وعزته وجلاله . . إن حاسبنى لحاسبته . .

قال النبى ﷺ : كيف تحاسبه . .

قال الأعرابى : إن حاسبنى عن ذنوبى . . حاسبته عن مغفرته . . وإن حاسبنى عن ظلمى . . حاسبته عن عفوه . .

وهنا أمر الله ملائكته فى الملأ الأعلى . . أن تكف عن التسبيح والتهليل والتكبير . . لتستمع إلى هذا الأعرابى . .

ثم أمر الله تعالى جبريل عليه السلام أن ينزل على النبى ﷺ ويقول له : الله يقرئك السلام . . ويقرئ الأعرابى السلام . . ويقول لك :

قل للأعرابى : وعزتى وجلالى . . لا أحاسبه ولا يحاسبنى . .

حاسبونا فدققوا	ثم منوا فأعتقوا
هكذا شيمة الملوك	بالمماليك ترفق
إن قلبى يقول لي	ولسانى ينطق
كل من مات مسلماً	ليس بالنار يحرق

• • •

الصلاة عماد الدين

﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ ﴾

(سورة البقرة ، آية ٢٣٨)

الصلاة عماد الدين

يقول تعالى :

* ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾[1] . .

* ﴿ إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾[2] . .

* ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾[3] . .

* ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى ﴾[4].

فالصلاة عماد الدين من أقامها . . فقد أقام الدين . . ومن هدمها فقد هدم الدين . . والصلاة من الدين بموضع الرأس من الجسد . . وإن تارك الصلاة لا سهم له فى الإسلام وإن حج وصام . .

فالجنة غالية المهر . . عزيزة المرام . . رفيعة المقام . . وقد حدد مهرها الإسلام . . على لسان مسك الختام . . وخير الأنام . . محمد ﷺ حين قال :

أيها الناس . . أفشوا السلام . . وألينوا الكلام . . وأطعموا الطعام . . وصلوا الأرحام . . وصلوا بالليل والناس نيام . . تدخلوا الجنة بسلام . .

فقد جاء رجل إلى النبى ﷺ وقال يا رسول الله . . علمنى عملاً إذا عملته أدخلنى الجنة وباعدنى عن النار . . فقال له النبى ﷺ :

١ - لا تشرك بالله شيئاً وإن عذبت وحرقت . .

٢ - أطع والديك . . وإن أخرجاك من مالك . . ومن كل شىء هو لك . .

٣ - لا تترك الصلاة . . فإنه من ترك الصلاة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله[5] . .

---

(١) سورة البقرة ، آية ٤٥ .
(٢) سورة النساء ، آية ١٠٣ .
(٣) سورة البقرة ، آية ٢٣٨ .
(٤) سورة طه ، آية ١٣٢ .
(٥) رواه الطبرانى عن معاذ بن جبل (رضى الله عنه) .

يا تاركاً لصلاته إن الصلاة لتشتكي

وتقول في أوقاتها الله يلعن تاركي

والصلاة عروس الإسلام . . وجوهرة الإيمان . . ولؤلؤة الفرقان . . فيها السبع المثان . . وفيها تلتقى الجنان على مائدة الرحمن . . وفيها تجتمع الأركان . . فأنت حين تصلى تجمع كل أركان الإسلام . . فأنت تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأنت تصلى . . وأنت حين تصلى . . تؤدى زكاة جسمك وعملك وعمرك وأنت تصلي . . وأنت حين تصلى تصوم عن الشراب والطعام . . وكل ألوان الطعام . . وأنت تصلى . . وأنت حين تصلى تحج إلى بيت الله الحرام . . لأنك تتجه بقلبك وروحك وجسمك شوقاً إلى البلد الحرام والركن والمقام . . وهكذا وهكذا . . فإن الصلاة تجمع كل الأركان . . ولا تجمعها الأركان . .

والصلاة أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة . . فإن صلحت صلح سائر عمله . . وإن فسدت فسد سائر عمله . .

والصلاة أول ما فرض من الدين . . وآخر ما يبقى منه . . فمن حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة . . ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة يوم القيامة . . وقد جاء فى الحديث القدسى عن رب العزة : من أحدث ولم يتوضأ . . فقد جفانى . . ومن توضأ ولم يصل . . فقد جفانى . . ومن صلى ولم يدعنى . . فقد جفانى . . ومن دعانى ولم أجبه فقد جفيته . . ولست برب جاف . . وقد جاء فى الأثر :

تحترقون تحترقون . . فإذا صليتم الصبح غسلتها . .
ثم تحترقون تحترقون . . فإذا صليتم الظهر غسلتها . .
ثم تحترقون تحترقون . . فإذا صليتم العصر غسلتها . .
ثم تحترقون تحترقون . . فإذا صليتم المغرب غسلتها . .
ثم تحترقون تحترقون . . فإذا صليتم العشاء غسلتها . .
ثم تنامون وليس عليكم شىء . . أى تنامون مغفوراً لكم . .

فمن لم يصل الصبح فلا نور فى وجهه . . ومن لم يصل الظهر . . فلا بركة فى رزقه . . ومن لم يصل العصر فلا قوة فى بدنه . . ومن لم يصل المغرب فلا ثمرة فى ولده . . ومن لم يصل العشاء فلا راحة فى نومه .

وقد أعجبنى سؤال وجهه شيخ إلى تلميذه يوماً من الأيام . . فقال له : يا بنى صحبتنى عشرين عاماً . . تأخذ عنى . . وتنهل من دروس علمى . . وأصول الفقه . . فهل تعرف الآن كيف تصلى ؟!

فقال التلميذ لشيخه : نعم يا سيدى . . أعرف كيف أصلى . .

فقال له : كيف تصلى ؟!

قال : إذا قمت إلى الصلاة هيأت نفسى لها هكذا . . !

١ - مستنجياً بالاستبراء . .

٢ - ثم متوضئاً بالإسباغ . .

٣ - ثم قائماً بالاستقبال . .

٤ - ثم ناوياً صلاتى بالاستحضار . .

٥ - ثم مكبراً ربى بالتعظيم . .

٦ - ثم مستفتحاً صلاتى بالأدب . .

٧ - ثم متعوذاً بالتحصن . .

٨ - ثم قارئاً الفاتحة والسورة بالتدبر . .

٩ - ثم راكعاً بالخضوع . .

١٠ - ثم معتدلاً بالتوبة . .

١١ - ثم ساجداً بالخشوع . .

١٢ - ثم جالساً بين السجودين بالترقب . .

١٣ - ثم راجعاً للسجود الثانى بالأمل . .

١٤ - ثم قائمًا لبقية صلاتى بالنشاط . .

١٥ - ثم متشهداً بالثناء على الله عز وجل وعلى رسوله ﷺ . .

١٦ - ثم داعياً بما يصلح أحوال دنياى وأخراى . .

١٧ - ثم مسلماً عن يمينى بالرجاء . . ثم مسلماً عن يسارى بالخوف . .

١٨ - ثم خاتماً صلاتى بالأذكار والاستغفار والصلاة على المختار . .

١٩ - ثم محافظاً على صلاتى أن يصلها البطلان . . بالذنوب والعصيان . . أو بضياع الخشوع والاطمئنان . .

٢٠ - ثم مؤكداً قبولها بالتواضع . . ورحمة الناس فى شتى المواضع . . والسعى من أجل قضاء مصالحهم من غير دافع . .

فقال له شيخه . . وقد سره ما سمع . . وهو يربت على كتفيه : بارك الله فيك يا بنى وتقبل منك صالح عملك . . هذه هى الصلاة التى يتقبلها الله من المتقين . .

وقد جاء فى الحديث القدسى : إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى . . ولم يستطل بها على خلقى . . وقطع النهار فى ذكرى ولم يبت مصراً على معصيتى . . ورحم الأرملة والمسكين وابن السبيل . . ورحم المصاب . . ذلك نوره كنور الشمس . . أكلؤه بعنايتى . . وأستحفظه ملائكتى . . وأجعل له فى الجهالة حلماً . . وفى الظلمة نوراً . . ومثله فى خلقى . . كمثل الفردوس فى جنتى . .

• • •

من رحمة الله

« ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء »

من رحمة الله

يقول تعالى :

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[1] .

ويقول جل جلاله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾[2] .

والتائب من الذنب كمن لا ذنب له . .

فلقد كان رسول الله ﷺ يتوب إلى الله ويستغفره فى اليوم مائة مرة . . وهو الذى غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . .

فالله العزيز الغفار . . يبسط يده بالنهار . . ليتوب مسىء الليل . . ويبسط يده بالليل . . ليتوب مسىء النهار . . وهو عالم الأسرار . . وقابل الأعذار . . حتى تنتهى الأيام . . وتنقضى الأعمار . . وينادى لمن الملك اليوم . . ويجيب لله الواحد القهار . .

هـذا . .

ولقد ورد أن رجلاً كان مسرفاً على نفسه . . قتل تسعة وتسعين نفساً . . ثم ندم . . وأراد التوبة . . فذهب إلى أحد العباد . . يسأله : هل لى توبة ؟

فقال له : لا توبة لك . . فقتله . . وأكمل به المائة . .

فندم ندماً شديداً . . ثم دله الناس على أحد العلماء . . فذهب إليه . . وقال :

هل لى توبة ؟

قال له : نعم باب التوبة مفتوح !!

---

(١) سورة الزمر ، آية ٥٣ .

(٢) سورة النساء ، آية ٤٨ .

ولكنى أنصحك أن تخرج من البلد الذى عصيت الله فيه . . إلى بلد آخر تعبد الله فيه !!

ففعل . . وبينما هو فى الطريق أدركه الموت . . فاختصمت فيه ملائكة الرحمة . . وملائكة العذاب . .

فقالت ملائكة الرحمة : إنه تاب إلى الله وأناب !!

وقالت ملائكة العذاب : إنه لم يزل فى بلد المعصية . . واختلفوا . .

فأرسل الله ملكاً يفصل بينهما . .

فإن كان قريباً من بلد المعصية . . فهو من نصيب ملائكة العذاب . .

وإن كان قريباً من بلد التوبة . . فهو من نصيب ملائكة الرحمة . .

وكان قريباً من بلد المعصية . . ولكن الله أراد به خيراً . . فقد تاب إليه وأناب . . فأرسل ريحاً زحزحته إلى بلد التوبة . . فكان من نصيب ملائكة الرحمة . . فدخل الجنة[١] .

ولا حرج على فضل الله تعالى . .

ولله در القائل :

يا نفس لا تقنطى من زلة عظمت ... إن الكبائر فى الغفران كاللمم . .[٢]

وصدق الله العظيم :

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[٣] .

---

(١) رواه البخارى .

(٢) من شعر البوصيرى .

(٣) سورة الزمر ، آية ٥٣ .

هــذا . .

وقد ورد أن رجلاً كان مسرفاً على نفسه . . لا يتورع عن فعل المعاصى . . فلا يترك معصية صغيرة ولا كبيرة إلا أتاها . . ولا ذنباً عظيماً ولا حقيراً إلا اقترفه . . فليس له من الأعمال الصالحة نصيب !!

وعندما مات . . ووقف للحساب . . لم تجد له الملائكة خيراً قط . . فأخذته إلى النار . . فلما رأى لهيبها . . وسمع زفيرها . . وأصبح قاب قوسين أو أدنى منها . . وظن أنه هالك لا محالة . . فإذا بالحق تبارك وتعالى ينادى : ملائكتى !!

قفوا إن لعبدى عندى أمانة . . لقد تصدق يوماً بشق تمرة على يتيم مسكين . . فتقبلها الله بيمينه . . ورباها له . . كما يربى أحدكم . . فلوة . . أى : مهرة أو بقرة . . حتى صارت جبلاً . . يحجبه عن النار . . ويحجب النار عنه . . ويغلق أبوابها دونه .

فاتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم يكن فبكلمة طيبة . .

ولا تحقرن من المعروف شيئاً . . ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق . .

وأخلص العمل يكفك منه القليل . .

فلرب درهم سبق ديناراً . .

وإنما الأعمال بالنيات . . وإنما لكل امرئ ما نوى . .

فالأعمال بالنية . . وليست بالكمية . .

ولا حرج على فضل الله تعالى . .

يا نفس لا تقنطى من زلة عظمت   إن الكبائر فى الغفران كاللمم

وصدق الله العظيم :

قل : يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم . . لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً . . إنه هو الغفور الرحيم . .

عتاب :

ولم أقرأ في حياتي أعظم ولا أكرم .. ولا أوجع ولا أفجع من عتاب الله لابن آدم في كتابه التوراة إلى بني إسرائيل .. معدداً نعمه على خلقه .. في أدب رباني تخر له الجبال خشوعاً .. والقلوب تسليماً .. والعيون دموعاً .. لجلال ما فيه .. وبلوغ ما يحتويه ..

يقول تعالى :

« يا ابن آدم جعلت لك قراراً في بطن أمك .. وغشيت وجهك بغشاء .. لئلا تفزع من الرحم .. وجعلت وجهك إلى ظهر أمك .. لئلا تؤذيك رائحة الطعام .. وجعلت لك متكأ على يمينك .. ومتكأ على شمالك .. فأما الذي عن يمينك فالكبد .. وأما الذي عن شمالك فالطحال ..

وعلمتك القيام والقعود .. في بطن أمك .. فهل يقدر على ذلك أحد غيري ؟

فلما أن تمت مدة حملك .. أوحيت إلى الملك الموكل بالأرحام .. أن يخرجك فأخرجك على ريشة من جناحه ..

لا لك سن يقطع .. ولا يد تبطش .. ولا قدم تسعى بها ..

وأنبت لك عرقين رقيقين في صدر أمك يجريان لك لبناً خالصاً .. دافئاً في الشتاء .. بارداً في الصيف .. وألقيت محبتك في قلب أبويك .. فلا يشبعان حتى تشبع .. ولا يرقدان حتى ترقد .. فلما أن قوى ظهرك .. واشتد أزرك .. بارزتني بالمعاصي .. واعتمدت على المخلوقين .. ولم تعتمد على .. وتسترت ممن يراك .. وبارزتني بالمعاصي في خلواتك .. ولم تستح مني .. ومع هذا :

إن دعوتني أجبتك .. وإن سألتني أعطيتك .. وإن تبت إلى قبلتك ..

ثم يقول جل وعلا :

يا ابن آدم .. إنك ما دعوتني .. ورجوتني .. غفرت لك ما كان منك ولا أبالي ..

يا ابن آدم . . لو بلغت ذنوبك عنان السماء . . ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالى . .
يا ابن آدم . . إنك لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا . . ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة ولا أبالى . .

يا ابن آدم . . خلقتك لعبادتى فلا تلعب . . وضمنت لك الرزق فلا تتعب . . إن قل فلا تحزن . . وإن زاد فلا تفرح . .

يا ابن آدم . . خلقتك لى . . وخلقت كل شيء لك . . فلا يشغلنك ما خلقته لك . . عما خلقتك له !!

وكأن الله يقول : عبدى :

أتأكل خيرى . . وتعبد غيرى . .

أنت عبد ضعيف . . وأنا الرب اللطيف . .

عد إلى بابى . . أكتبك من أحبابى . .

أتراب تراب لتراب ... ما بين ذهاب وإياب
قل من يخشانى فى الدنيا ... يأمن عاقبتى وعذابي
فالنار لمن يعبد غيري ... والجنة جنة أحبابي
إن تطلبنى ترجو عفوي ... لن أغلق فى وجهك بابي
أفتح لك فردوسى الأعلى ... فادخل من أى الأبواب[1]

• • •

(١) من شعر المؤلف . .

المراجـــع

١ - القرآن الكريم .
٢ - المعجم المفهرس .
٣ - تفسير القرآن العظيم (لابن كثير) .
٤ - تفسير فى ظلال القرآن (للشهيد سيد قطب) .
٥ - تفسيرا لقرطبى .
٦ - تفسير الجلالين .
٧ - تفسير أبى السعود .
٨ - تفسير المنار (للشيخ رشيد رضا) .
٩ - صفوة التفاسير (للشيخ محمد على الصابونى) .
١٠ - تفسير الطبرى .
١١ - فتح البارى شرح صحيح البخارى .
١٢ - صحيح مسلم .
١٣ - مسند الإمام أحمد .
١٤ - سنن أبى داود .
١٥ - زاد المعاد (لابن القيم) .
١٦ - الترغيب والترهيب (للمنذرى) .
١٧ - الدين الخالص (محمود خطاب السبكى) .
١٨ - فقه السيرة (للبوطى) .
١٩ - فقه السنة (السيد سابق) .
٢٠ - الفقه على المذاهب الأربعة .
٢١ - إحياء علوم الدين (للغزالى) .
٢٢ - مقدمة ابن خلدون .
٢٣ - أحكام القرآن (لابن العربى) .
٢٤ - لسان العرب (لابن منظور) .
٢٥ - مختار الصحاح (للرازى) .
٢٦ - المعجم الوسيط (مجمع اللغة العربية) .
٢٧ - مفردات القرآن (للأصفهانى) .
٢٨ - البداية والنهاية (لابن كثير) .
٢٩ - الأحـاديث القـدسـيـة (المجلس الأعلى للشئون الإسلامية) .
٣٠ - رياض الصالحين (للنووى) .
٣١ - الموطأ (للإمام مالك) .
٣٢ - الدر المنثور (للسيوطى) .
٣٣ - الدرارى المضيئة (للشوكانى) .
٣٤ - فضائل القرآن (لابن كثير) .
٣٥ - روح المعانى (للألوسى) .
٣٦ - الروح (لابن القيم) .
٣٧ - الأذكار (للنووى) .
٣٨ - الجواب الكافى (لابن القيم الجوزية) .
٣٩ - صيد الخاطر (لابن الجوزى) .
٤٠ - غاية الحكيم (لمسلمة بن أحمد) .
٤١ - مكاشفة القلوب (للغزالى) .
٤٢ - مفتاح السعادة (لابن القيم) .
٤٣ - الطب النبوى (لابن القيم) .
٤٤ - خزانة الأدب (للبغدادى) .
٤٥ - من وصايا القرآن (دار التراث العربى) .
٤٦ - تفسير الأحلام (لابن سيرين) .
٤٧ - تفسير الأحلام (للنابلسى) .
٤٨ - فى رحمة الله (للمؤلف) .
٤٩ - حديقة الأولياء (للمؤلف) .
٥٠ - لآلئ ودرر من عدالة عمر (للمؤلف) .
٥١ - لؤلؤ ومرجان (للمؤلف) .
٥٢ - من خشية الله (للمؤلف) .
٥٣ - السعى إلى الآخرة (للمؤلف) .
٥٤ - أسماء الله الحسنى (للمؤلف) .
٥٥ - رمضان كريم (للمؤلف) .

الفهـرس

• • •

إلـى :

الطامعين فى رحمة الله ..

إلـى :

الباكين من خشية الله ..

إلـى :

الساعين فى طاعة الله ..

إلـى :

الراجين عفو الإله ..

إلـى :

الهائمين فى حب الله ..

إلـى :

الطالبين رضاه ..

أقدم لهم كتابى إلى الحياة ..

فى رحمة الله

تاج الدين نوفل